عذابُ القبر ونعيمه

د. حامد بن أحمد الطاهر البسيوني



الطبعة الأولى :
١٤٢٧هـ - ٢٠٠٦م

رقم الإيداع : ٧٦٧٣ / ٢٠٠٧

الناشر
مكتبة الأصولي دمنهور
☎ ٠٤٥٣٣١١١٣٨ - ٠١٠٥٤٠١٣٢٤
دمنهور - خلف عمر أفندي

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

المقدمة

الحمد للَّه رب العالمين وحده لا شريك له ، له الملك وله الحمد يُحْيي ويميت وهو على كل شيءٍ قدير ، أشهد أن لا إله إلاّ اللَّه ، وأن محمدًا عبده ورسوله صلى اللَّه عليه وعلى آله وصحبه أجمعين ، أما بعد :

فإننا نعاود اليوم طرح قضية أهوال القبور ،وما يلقاه المؤمن فيه من النعيم المقيم ،وما يطالعه المشرك من عذاب اللَّه المقيم ، وما يلقاه العاصى فى البرزخ

والبرزخ : هى تلك المرحلة التى تتوسط الحياة من بعد الموت وإلى النشور والبعث ، كما قال اللَّه تعالى : ﴿وَمِن وَرَآئِهِم بَرْزَخٌ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ﴾ [المؤمنون : ١٠٠] .

تلكم الحياة التى حدثتنا عنه السَّنة النبوية ، فأفاضت ؛ فاهتم النبى ﷺ بتبيان هذه الحياة بنعيمها وعذابها لأمته ؛ ليحذر الأمة من فتنة القبر وأهواله ، وليبشر المؤمن بنجاته وسعادته إلى يوم أن يلقى ربه تعالى.

وقد اهتممنا هنا بتبيان هذه الأمور عن طريق :

(١) سياقة الآيات وتفسيرها ، وهى الآيات الدالة على صحة عذاب القبر .

(٢) كما سقنا الدليل من حديث النبى ﷺ وشرطنا صحة الحديث.

(٣) وسقنا الدليل العقلى على صحة عذاب القبر .

(٤) كما قسمنا الكتاب تقسيمًا ييسر على القارئ مطالعته ؛ فجعلنا أول الكتاب كتمهيد ومقدمة مع سياقة الدليل النقلى (الشرعى) والعقلى على صحة عذاب القبر.

(٥) ثم تحدثنا عن أمور تتعلق بالقبر فقهيًا ، وأخرويًا .

(٦) ثم كان الحديث عن أهوال القبور من عذاب وسببه ، أو نعيم .

(٧) ثم عرضنا ما ينجى من عذاب القبر .

(٨) ثم أخيرًا جعلنا جزءًا لما ينفع الميت بعد موته .

والله تعالى نسأل النفع بما كتبنا ، وأن يعفو عن الزلة والتقصير

وكتبه أبو أنس

حامد بن أحمد الطاهر البسيونى (عفا الله عنه)

دمنهور - البحيرة - مصر

ت ١١٩٠٢٣٦

هول المطلع

- الاستعداد للموت ، والتأهب للقبر .
- الصالحون والموت والقبر .
- موعظة بليغة .
- كلامٌ للإمام الغزالى - رحمه اللَّه - .
- الدليل النقلى من القرآن والسُّنة ، والدليل العقلى على إثبات عذاب القبر .
- حديث البراء بن عازب الجامع لأحوال الموتى عند قبض أرواحهم وفى قبورهم .
- أقوال السلف فى الإيمان بعذاب القبر ونعيمه .
- عذاب القبر هو نفسه عذاب البرزخ .

الاستعداد للموت ، والتأهب للقبر

عن زيد بن ثابت رضى اللَّه عنه قال : بينما النبى ﷺ فى حائط لبنى النجار على بغلة له ونحن معه إذ حادت به فكادت تلقيه ، وإذا أقبر ستة أو خمسة أو أربعة - كذا كان الحريرى يقول - فقال : « من يعرف أصحاب هذه الأَقْبُر »؟ فقال رجلٌ : أنا . قال : « فمتى مات هؤلاء ؟ » قال : ماتوا فى الإشراك . فقال : « إن هذه الأمة تُبْتَلَى فى قُبُورها ، فلولا أن لا تَدَافَنُوا لدعوت اللَّه أن يُسْمِعَكُم من عذاب القبر الذى أَسْمَعُ »[١] .

يقول الحسن البصرى : ما رأيت حقًا أشبه بباطل من الموت .

وهذا تصوير دقيق لموقف الناس من هذه الحياة وما بعدها ، فهم مع يقينهم باستحالة الخلود على وجه الأرض ، ومع إحساسهم بأن الموت يفض الجامع ويحصد الآجال ، فإنهم قلَّما يعملون لمسكنهم الأخير الذى سيتوارون فيه ، وقلَّما يستعدون له الاستعداد اللائق فى غدهم المرتقب.

إن مشهد الموت مشهد مريع : جسد ساكن ، عين ولا بصر ، يدولا بطش ، أُذن ولا سمع ، قدم ولا مسير ، دم لا يتدفق ، قلب لا ينبض ، ومع ذلك فالكل سرعان ما يتناسى هذه الحقائق.

وأفظع من هذا وذاك القبر ، كما روى عثمان رضى اللَّه عنه أن النبى ﷺ قال : « القبر أول منازل الآخرة ، فإن نجا منه فما بعده أيسر منه ، وإن لم ينج منه فما بعده أشد منه » ثم قال : وقال رسول اللَّه ﷺ : « ما رأيت منظرًا قط إلا والقبر أفظع منه »[٢] . وهو ﷺ الذى وقف على شفير القبر ينادى : « يا إخوانى لمثل هذا اليوم فأعدوا »[٣] .

إن القبور دار غريبة ، منازل رهيبة ، غرباء متجاورون ، بين الأجداث والبِلَى ،

(١) صحيح: مسلم (٢٨٦٧/ ٦٧) فى الجنة وصفة نعيمها.

(٢) حسن: رواه ابن ماجة،وحسنه الألبانى (١٣٢) فى «المشكاة».

(٣) حسن: رواه ابن ماجةعن البراء، وحسنه الألبانى (٧٨٤٤) فى «صحيح الجامع».

قبر يتقلب فى درجات النعيم ، وآخر فى دركات الجحيم.

لقد وقف عمر بن الخطاب رضى اللَّه عنه يبكى عند المقبرة ، حتى بلّ الثرى ، فقال عبد الرحمن بن عوف : ما يبكيك؟ فقال عمر : ويحك يا ابن عوف!! أنسيت هذه الحفرة.

وقال عمر بن عبد العزيز لبعض جلسائه : يا فلان لقد أَرِقْت الليلة أتَفكّر فى القبر وساكنه ، إنك لو رأيت الميت بعد ثلاثة أيام فى قبره لا ستوحشت من قربه بعد طول الأُنس منك به ، ولرأيت بيتا تجول فيه الهوام ، ويجرى فيه الصديد ، وتخترقه الديدان مع تَغَيُّر الريح ، وبَلَى الأكفان بعد حُسن الهيئة وطيب الريح ونقاء الثوب ، . . . قال : ثم شهق شهقة خَرّ مغشيًا عليه[1].

وكان يزيد الرقاشى يقول : أيها المقبور فى حفرته ، والمتخلى فى القبر بوحدته ، المستأنس فى بطن الأرض بأعماله ، ليت شعرى بأى أعمالك استبشرت ، وبأى إخوانك اغتبطت ، ثم يبكى حتى يبل عمامته ، ثم يقول : استبشرَ واللَّهِ بأعماله الصالحة ، واغتبط واللَّه بإخوانه المتعاونين على طاعة اللَّه تعالى . .

إنه إذًا هول المطلع ؛ ولذا هتف ﷺ فى الصحابة من حوله ، وفى أمته من بعده كما روى عنه جبار بن عبد اللَّه فقال : « لا تمنوا الموت فإن هول المطلع شديد »[2] .

ولذلك فإن عثمان رضى اللَّه عنه كان يتمثل بقول القائل :

فإن تنج منها تنج من ذى عظيمة وإلا فإنى لا أخالك[3] ناجِيًا

وها هو أنس بن مالك رضى اللَّه عنه يقول : ألا أحدثكم بيومين وليلتين لم تسمع الخلائق بمثلهن : أول يوم يجيئك البشير من اللَّه تعالى إما برضاه ، وإما بسخطه . ويوم تعرض فيه على ربك آخذًا كتابك إما بيمينك ، وإما بشمالك.

وليلة تستأنف فيها المبيت فى القبور لم تبت فيها قط. وليلة تمخض صبيحتها

---

(١) مناقب عمر بن عبد العزيز (صـ ١٦٢ ، ١٦٣) دار الفجر للتراث.

(٢) صحيح: الهيثمى (١٠/ ٢٠٣) وعزاه لأحمد والبزار بإسناد حسن.

(٣) أخالك: أظنك.

يوم القيامة[١].

وقال أبو الدرداء رضى اللَّه عنه : أضحكنى ثلاث ، وأبكانى ثلاث : أضحكنى : مؤمل دنيا والموت يطلبه ، وغافل ليس بمغفول عنه ، وضاحك بملء فيه لا يدرى أأرضى اللَّه أم أسخطه؟ وأبكانى : فراق الأحبة محمد وحزبه ، وأحزننى هول المطلع عند غمرات الموت ، والوقوف بين يدى اللَّه يوم تبدو السريرة علانية ، ثم لا يدرى إلى الجنة أو إلى النار[٢].

الصالحون والموت والقبر

وكان يزيد الرقاشى يقول لنفسه : ويحك يا يزيد ، من ذا يصلى عنك بعد الموت؟ من ذا يصوم عنك بعد الموت؟من ذا يترضى عنك ربك بعد الموت؟ ثم يقول : أيها الناس ألا تبكون وتنوحون على أنفسكم باقى حياتكم؟ مَن الموت طالبه ، والقبر بيته ، والتراب فراشه ، والدود أنيسه ، وهو مع هذا ينتظر الفزع الأكبر ، كيف يكون حاله؟ ثم يبكى حتى يسقط مغشيا عليه.

قال الحسن البصرى : إن قومًا ألهتهم الأمانى حتى خرجوا من الدنيا ، ومالهم حسنة ويقول أحدهم : إنى أحسن الظن بربى. وكذب ، ولو أحسن الظن لأحسن العمل . وتلا قوله تعالى : ﴿وَذَٰلِكُمْ ظَنُّكُمُ ٱلَّذِى ظَنَنتُم بِرَبِّكُمْ أَرْدَىٰكُمْ فَأَصْبَحْتُم مِّنَ ٱلْخَـٰسِرِينَ ﴿٢٣﴾﴾ [فصلت : ٢٣].

وقال سعيد بن جبير : الغرة باللَّه أن يتمادى الرجل بالمعصية ، ويتمنى على اللَّه المغفرة .

وقال بقية بن الوليد : كتب أبو عمير الصورى إلى بعض إخوانه :

أما بعد : (فإنك قد أصبحت تؤمل الدنيا بطول عمرك ، وتتمنى على اللَّه الأمانى بسوء فعلك ، وإنما تضرب حديدًا باردًا ، والسلام).

---

(١) «التذكرة» (١/ ٨٤) للقرطبى.

(٢) ابن المبارك (٢٤٩) فى الزهد ، وهو حسن.

وكان جعفر بن محمد يأتى القبور ليلاً ويقول : يا أهل القبور مالى إذا دعوتكم لا تجيبونى . ثم يقول : حيل واللّه بينهم وبين جوابى ، وكأنى بى أكون مثلهم . ثم يستقبل الصلاة إلى طلوع الفجر.

قال عمر بن عبد العزيز لبعض جلسائه : يا فلان ، لقد أرقت الليلة أتفكر فى القبر وساكنه ، إنك لو رأيت الميت بعد ثلاثة فى قبره لاستوحشت من قربه بعد طول الأنس منك به ، ولرأيت بيتًا تجول فيه الهوام ، ويجرى فيه الصديد ، وتخترقه الديدان مع تغير الريح ،وبلى الأكفان بعد حسن الهيئة ، وطيب الريح ، ونقاء الثوب . ثم خر مغشيًا عليه.

وقال حاتم الأصم : من مر بالمقابر فلم يتفكر لنفسه ، ولم يدع لهم ، فقد خان نفسه وخانهم.

وكان بكر العابد يقول : يا أماه ، ليتك كنت بى عقيمًا ، إن لابنك فى القبر حبسًا طويلاً ، ومن بعد ذلك منه رحيلا .

قال يحيى بن معاذ : ابن آدم ، دعاك ربك إلى دار السلام فانظر من أين تجيبه؟ إن أجبته من دنياك ، واشتغلت بالرحلة إليه دخلتها ، وإن أجبته من قبرك منعتها .

وكان الحسن بن صالح إذا أشرف على المقابر يقول : ما أحسن ظواهرك ، إنما الدواهى فى بواطنك.

وكان عطاء السلمى إذا جن عليه الليل خرج إلى المقبرة ثم يقول : يا أهل القبور ، متم فواموتاه ، وعاينتم أعمالكم فواعملاه . ثم يقول : غدًا عطاء فى القبور ، غدًا عطاء فى القبور. فلا يزال هذا دأبه حتى يصبح.

وقال سفيان : من أكثر من ذكر القبر وجده روضة من رياض الجنة ، ومن غفل ذكره وجده حفرة من حفر النار. فمَن تذكره عمل لهذا اليوم ومن أغفله أهمل عمله.

وكان الربيع بن خثيم قد حفر فى داره قبرًا ، فكان إذا وجد فى قلبه قساوة دخل فيه فاضطجع ومكث ما شاء اللّه ، ثم يقول : ﴿رَبِّ ٱرْجِعُونِ ﴿٩٩﴾ لَعَلِّىٓ أَعْمَلُ صَٰلِحًا

فِيمَا تَرَكْتُ﴾ [المؤمنون : ٩٩، ١٠٠]. يرددها ، ثم يرد على نفسه : يا ربيع ، قد رجعتك فاعمل.

قال أحمد بن حرب : تتعجب الأرض من رجل يمهد مضجعه ، ويسوى فراشه فتقول : يا ابن آدم ، لِمَ لا تذكر طول بلاك ، وما بينى وبينك شىء!!

موعظةٌ بليغةٌ

أَرَى أَهْلَ الْقُصُورِ إِذَا أُمِيتُوا بَنَوْا فَوْقَ الْمَقَابِرِ بِالصُّخُورِ
أَبَوْا إِلَّا مُبَاهَاةً وَفَخْرًا عَلَى الْفُقَرَاءِ حَتَّى فِى الْقُبُورِ
لَعَمْرُكَ لَوْ كَشَفْتَ التُّرْبَ عَنْهُمْ فَمَا تَدْرِى الْغَنِىَ مِنَ الْفَقِيرِ
وَلَا الْجِلْدَ الْمُبَاشِرَ ثَوْبَ صُوفٍ مِنَ الْجِلْدِ الْمُبَاشِرِ لِلْحَرِيرِ
إِذَا أَكَلَ الثَّرَى هَذَا وَهَذَا فَمَا فَضْلُ الْغَنِىُّ عَلَى الْفَقِيرِ

يا هذا ، أين الذى جمعته من الأموال ،وأعددته للشدائد والأهوال ، ولقد أصبحت كفك منه عند الموت خالية صفرًا ، وبدلت من بعد غناك وعزك ذلًا وفقرًا ، فيكف أصحبت يا رهين أوزاره ، ويا من سلب من أهله ودياره؟ ما كان أخفى عليك سبيل الرشاد ، وأقل اهتمامك لحمل الزاد إلى سفرك البعيد ، وموقفك الصعب الشديد ، أو ما علمت يا مغرور أن لا بد من الارتحال إلى يوم الشدائد والأهوال ، وليس نفعك ثَمَّ قيل ولا قال ، بل يعد عليك بين يدى الملك الديان ، ما بطشت اليدان ، ومشت القدمان ، ونطق به اللسان ، وعملت الجوارح والأركان ، فإن رحمك فإلى الجنان ، وإن كانت الأخرى فإلى النيران ، يا غافلاً عن هذه الأحوال إلى كم هذه الغفلة والتوان ، أتحسب أن الأمر صغير ، وتزعم أن الخطب يسير؟ وتظن أن سينفعك حالك ، إذا آن ارتحالك ، أو ينقذك مالك ، حين توبقك أعمالك ، أو يغنى عنك ندمك إذ زلت بك قدمك ، أو يعطف عليكم معشرك ، حين يضمك محشرك ، كلا واللّه ساء ما تتوهم ، ولابد لك أن ستعلم ، لا بالكفاف تقنع ، ولا من الحرام تشبع ، ولا للعظات تستمع ، ولا بالوعيد ترتدع ، دأبك أن تتقلب مع الأهواء ، وتخبط خبط العشواء ، ويعجبك التكاثر بما

لديك ، ولا تذكر ما بين يديك ، يا نائمًا فى غفلة وفى غبطة يقظان ، إلى كم هذه الغفلة والتوان ، أتزعم أن ستترك سدى ، وأن لا تحاسب غدًا ، أم تحسب أن الموت يقبل الرشا ، وأم تميز بين الأسد والرشا ، كلا واللّه لن يدفع عنك الموت مال ولا بنون ، ولا ينفع أهل القبور إلا العمل المبرور ، فطوبى لمن سمع ووعى ، وحقق ما ادعى ، ونهى النفس عن الهوى ، وعلم أن الفائز من ارعوى : ﴿وَأَن لَّيْسَ لِلْإِنسَانِ إِلَّا مَا سَعَىٰ ﴿٣٩﴾ وَأَنَّ سَعْيَهُ سَوْفَ يُرَىٰ ﴿٤٠﴾﴾ [النجم : ٣٩، ٤٠] .

فانتبه من هذه الرقدة واجعل العمل الصالح لك عدة ، ولا تتمن منازل الأبرار وأنت مقيم على الأوزار ، عامل بعمل الفجار ، بل أكثر من الأعمال الصالحات ، وراقب اللّه فى الخلوات رب الأرض والسماوات ، ولا يغرنك الأمل ، فتزهد عن العمل ، أو ما سمعت الرسول حيث يقول ، لما جلس على القبور : « يا إخوانى لمثل هذا فأعدوا » . أو ما سمعت الذى خلقك فسواك يقول : ﴿وَتَزَوَّدُوا فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَىٰ﴾ [البقرة : ١٩٧] .

وأنشدوا :

تَزَوَّدْ مِنْ مَعاشِكَ لِلمَعادِ ... وَقُمْ لِلَّهِ وَاعْمَلْ خَيْرَ زَادِ
وَلَا تَجْمَعْ مِنَ الدُّنْيَا كَثِيرًا ... فَإِنَّ الْمالَ يُجْمَعُ لِلنَّفادِ
أَتَرْضَى أَنْ تَكُونَ رَفِيقَ قَوْمٍ ... لَهُمْ زَادٌ وَأَنْتَ بِغَيْرِ زَادِ

وقال آخر :

وَلَدَتْكَ إِذْ وَلَدَتْكَ أُمُّكَ بَاكِيًا ... وَالْقَوْمُ حَوْلَكَ يَضْحَكُونَ سُرُورَا
فَاعْمَلْ لِيَوْمٍ أَنْ تَكُونَ إِذَا بَكَوْا ... فِى يَوْمِ مَوْتِكَ ضَاحِكًا مَسْرُورَا

وروى عن محمد القرشى أنه قال : سمعت شيخنا يقول : أيها الناس : إنى لكم ناصح ، وعليكم شفيق ، فاعملوا فى ظلمة الليل لظلمة القبر ، وصوموا فى الحر قبل يوم النشور ، وحجوا يحط عنكم عظائم الأمور ، وتصدقوا مخافة يوم عسير .

كلامٌ للإمام الغزالى - رحمه اللَّه -

قال الغزالى فى الإحياء : أعلم أن الموت هائل ، وخطره عظيم ، ومن لم يذكره ليس يذكره بقلب فارغ ، بل بقلب مشغول بشهوة الدنيا ، فليرجع ذكر الموت فى قلبه ، فالطريق فيه أن يفرغ العبد قلبه عن كل شىء إلا عن ذكر الموت الذى هو بين يديه ، كالذى يريد أن يسافر إلى مفازة[١] مخطرة أو يركب البحر ، فإنه لا يتفكر إلا فيه ، فإذا باشر ذكر الموت قلبه فيوشك أن يؤثر فيه ، وعند ذلك يقل فرحه وسروره بالدنيا وينكسر قلبه ، وأنجع[٢] طريق فيه أن يُكثر ذكر أشكاله وأقرانه الذين مضوا قبله ، فيتذكر موتهم ومصارعهم تحت التراب ، ويتذكر صورهم فى مناصبهم وأحوالهم ، ويتأمل كيف محا التراب الآن حسن صورهم ؟ وكيف تبددت أجزاؤهم فى قبورهم ؟ وكيف أرملوا نساءهم ، وأيتموا أولادهم ، وضيعوا أموالهم ،وخلت منهم مساجدهم ومجالسهم ، وانقطعت آثارهم ؟ فمهما تَذَكَّر رجلٌ رجلاً ، وفَصَّل فى قلبه حاله وكيفية موته ، وتَوَهَّم صورته ، وتَذَكَّر نشاطه وتردده وتَأَمُّله للعيش والبقاء ، ونسيانه للموت ، وانخداعه بمواتاة الأسباب ، وركونه إلى القوة والشباب ،وميله إلى الضحك واللَّهو ، وغفلته عَمّا بين يديه من الموت الذريع ، والهلاك السريع ، وأنه كيف كان ينطق وقد أكل الدود لسانه ، وكيف كان يضحك وقد أكل التراب أسنانه ، ويكف كان يدبر لنفسه مالاً يحتاج إليه إلى عشر سنين فى وقت لم يكن بينه وبين الموت إلا شهر ، وهو غافل عما يُراد به ، حتى جاء الموت فى وقت لم يحتسبه ، فانكشفت له صورة المَلَك ، وقرع سمعه النداء إما بالجنة أو بالنار . فعند ذلك ينظر فى نفسه أنه مثلهم ، وغفلته كغفلتهم ، وستكون عاقبته كعاقبتهم .

الدليل على إثبات عذاب القبر

(١) قال القرطبى - رحمه اللَّه - :

صحت الأخبار عن النبى ﷺ فى عذاب القبر على الجملة ، فلا مطعن فيها ،

---

(١) صحراء مُهْلِكة .

(٢) أفضل وأحسن وأنجح .

ولا معارض لها . قال أبو عمر بن عبد البر فى التمهيد : الآثار الثابتة تدل على ان الفتنة فى القبر لا تكون إلا لمؤمن أو منافق ممن كان منسوبًا إلى أهل القبلة ودين الإسلام ممن حقن دمه بظاهر الشهادة ، وأما الكافر الجاحد المبطل فليس ممن يسأل عن ربه ودنيه ونبيه ، وإنما يسأل عن هذا أهل الإسلام ، واللَّه أعلم ، فيثبت اللَّه الذين آمنوا بالقول الثابت ويرتاب المبطلون. قال ابن عبد البر . وفى حديث زيد بن ثابت عن النبى ﷺ أنه قال : « إن هذه الأمة تبتلى فى قبورها » . ومنهم من يرويه : « تسأل) . وعلى هذا اللفظ يحتمل أن تكون هذه الأمة خصت بذلك ، وهذا أمر لا يقطع عليه . واللَّه أعلم[١] .

قال القرطبى : وقول أبى محمد عبد الحق أصوب وهو : أن عذاب القبر ليس موقوفًا على المنافقين ، ولا مختصًا بالكافرين ، بل يشاركهم فيه طائفة من المؤمنين وكل على حاله من عمله وما استوجبه من خطيئته وزلَلِه ، وإن كانت تلك النصوص المتقدمة فى عذاب القبر إنما جاءت فى الكافر والمنافق.

قلت : وتتجدد عادة فرية التكذيب بعذاب القبر ونعيمه ؛ ولذلك نسوق الأدلة على صحته من الدليلين الشرعى والعقلى.

(١) الدليل الشرعى :

(١) من القرآن الكريم :

(١) قال اللَّه تعالى : ﴿وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِى فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةً ضَنكًا﴾ [طه : ١٢٤]. قال أبو هريرة رضى اللَّه عنه عن النبى ﷺ : « عذاب القبر »[٢]

(٢) وقوله تعالى : ﴿وَحَاقَ بِـَٔالِ فِرْعَوْنَ سُوٓءُ ٱلْعَذَابِ * ٱلنَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا ۖ وَيَوْمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ أَدْخِلُوٓا۟ ءَالَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ ٱلْعَذَابِ ﴿٤٦﴾﴾ غافر (٤٥ ، ٤٦). والأمر هنا واضح تمامًا أن هناك عذابًا واقعًا بين هلاك آل فرعون فى الدنيا وعذابهم فى الآخرة .

---

(١) التمهيد (٢٢/ ٢٢٥) لابن عبد البر.

(٢) قال ابن كثير (٥/ ٢٣٩) فى التفسير : إسنادٌ جيد، ورواه ابن حبان (٣١١٢).

(٣) وهو ما يؤكده قول الله تعالى : ﴿فَذَرْهُمْ حَتَّىٰ يُلَٰقُوا۟ يَوْمَهُمُ ٱلَّذِى فِيهِ يُصْعَقُونَ ﴿٤٥﴾ يَوْمَ لَا يُغْنِى عَنْهُمْ كَيْدُهُمْ شَيْـًٔا وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ ﴿٤٦﴾ وَإِنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ عَذَابًا دُونَ ذَٰلِكَ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٤٧﴾﴾ [الطور : ٤٥-٤٦] .

(٤) قوله تعالى : ﴿يُثَبِّتُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱلْقَوْلِ ٱلثَّابِتِ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا﴾ [إبراهيم : ٢٧] الآية.

مسلم عن البراء بن عازب عن النبى ﷺ قال : ﴿يُثَبِّتُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱلْقَوْلِ ٱلثَّابِتِ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ﴾ [إبراهيم : ٢٧]. قال : « نزلت فى عذاب القبر ، يقال له : من ربك؟ فيقول : الله ربى. ونبي محمد . فذلك قوله : ﴿يُثَبِّتُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱلْقَوْلِ ٱلثَّابِتِ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ﴾ [إبراهيم : ٢٧](١).

وفى رواية أنه قول البراء : ولم يذكر النبى ﷺ(١).

قال القرطبى : قلت : وهذا الطريق وإن كان موقوفا فهو لا يقال من جهة الرأى ، فهو محمول على أن النبى ﷺ قاله كما فى الرواية الأولى ، كما خرجه النسائى وابن ماجه فى سننهما والبخارى فى صحيحه ، وهذا لفظ البخارى .

حدثنا جعفر بن عمر قال : حدثنا شعبة عن علقمة بن مرثد ، عن سعد بن عبيدة عن البراء بن عازب عن النبى ﷺ قال : « إذا أقعد العبد المؤمن فى قبره ، أتى ثم يشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدًا رسول الله ، فذلك قوله ﴿يُثَبِّتُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱلْقَوْلِ ٱلثَّابِتِ﴾ الآية ». وخرجه أبو داود أيضًا فى سننه فقال فيه : عن البراء بن عازب أن رسول الله ﷺ قال : « إن المسلم إذا سئل فى القبر فشهد أن لا إله إلا الله ، وأن محمد رسول الله ﷺ فذلك قوله تعالى : ﴿يُثَبِّتُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱلْقَوْلِ ٱلثَّابِتِ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ﴾ [إبراهيم : ٢٧] »(٢) .

(٥) وقوله تعالى : ﴿وَإِنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ عَذَابًا دُونَ ذَٰلِكَ﴾ [الطور : ٤٧] . يماثله قوله تعالى : ﴿وَلَنُذِيقَنَّهُم مِّنَ ٱلْعَذَابِ ٱلْأَدْنَىٰ دُونَ ٱلْعَذَابِ ٱلْأَكْبَرِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿٢١﴾﴾

---

(١) رواه مسلم (٢٨٧١) .

(٢) رواه البخارى (١٣٦٩) فى الجنائز.

[السجدة : ٢١] . قال ابن عباس : هو عذاب القبر

(٦) وقوله تعالى : ﴿سَنُعَذِّبُهُم مَّرَّتَيْنِ﴾ [التوبة : ١٠١] . قال قتادة والربيع بن أنس : أحدهما فى الدنيا ، والأخرى هى : عذاب القبر[١] .

(٧) وقوله تعالى : ﴿فَلَوْلَآ إِذَا بَلَغَتِ ٱلْحُلْقُومَ ﴿٨٣﴾ وَأَنتُمْ حِينَئِذٍ تَنظُرُونَ ﴿٨٤﴾ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنكُمْ وَلَٰكِن لَّا تُبْصِرُونَ ﴿٨٥﴾ فَلَوْلَآ إِن كُنتُمْ غَيْرَ مَدِينِينَ ﴿٨٦﴾ تَرْجِعُونَهَآ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٨٧﴾ فَأَمَّآ إِن كَانَ مِنَ ٱلْمُقَرَّبِينَ ﴿٨٨﴾ فَرَوْحٌ وَرَيْحَانٌ وَجَنَّتُ نَعِيمٍ ﴿٨٩﴾ وَأَمَّآ إِن كَانَ مِنْ أَصْحَٰبِ ٱلْيَمِينِ ﴿٩٠﴾ فَسَلَٰمٌ لَّكَ مِنْ أَصْحَٰبِ ٱلْيَمِينِ ﴿٩١﴾ وَأَمَّآ إِن كَانَ مِنَ ٱلْمُكَذِّبِينَ ٱلضَّآلِّينَ ﴿٩٢﴾ فَنُزُلٌ مِّنْ حَمِيمٍ ﴿٩٣﴾ وَتَصْلِيَةُ جَحِيمٍ ﴿٩٤﴾ إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ حَقُّ ٱلْيَقِينِ ﴿٩٥﴾ فَسَبِّحْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلْعَظِيمِ ﴿٩٦﴾﴾ [الواقعة : ٨٣ - ٩٦].

قال ابن قيم الجوزية - رحمه اللَّه - :

فذكر ها هنا أحكام الأرواح عند الموت ، وذكر فى أول السورة أحكامها يوم المعاد الأكبر وقدَّم ذلك على هذا تقديم الغاية للعناية ، إذ هى أهمُّ وأولى بالذّكر ، وجعلهم عند الموت ثلاثة أقسام كما جعلهم فى الآخرة ثلاثة أقسام[٢] .

قال القرطبى - رحمه اللَّه - :

قال اللَّه تعالى : ﴿وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِى فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةً ضَنكًا﴾ [طه : ١٢٤].

قال أبو سعيد الخدرى ، وعبد اللَّه بن مسعود : ضنكا . قال : عذاب القبر . وقيل فى قوله عز وجل : ﴿وَإِنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ عَذَابًا دُونَ ذَٰلِكَ﴾ [الطور : ٤٧]. هو : عذاب القبر ؛ لأن اللَّه ذكره عقب قوله : ﴿فَذَرْهُمْ حَتَّىٰ يُلَٰقُوا۟ يَوْمَهُمُ ٱلَّذِى فِيهِ يُصْعَقُونَ ﴿٤٥﴾﴾ . [بالطور : ٤٥]. وهذا اليوم هو اليوم الآخر من أيام الدنيا فدل على أن العذاب الذى هم فيه هو عذاب القبر ، وكذلك قال : ﴿وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [الأنفال : ٣٤]. لأنه غيب وقال : ﴿فَوَقَىٰهُ ٱللَّهُ سَيِّـَٔاتِ مَا مَكَرُوا۟ ۖ وَحَاقَ بِـَٔالِ فِرْعَوْنَ سُوٓءُ ٱلْعَذَابِ ﴿٤٥﴾ ٱلنَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا ۖ وَيَوْمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ أَدْخِلُوٓا۟ ءَالَ

(١) فتح البارى (٣/ ٢٧٤، ٢٧٦).

(٢) الروح صـ١٠٢ إلى صـ ١٠٤ موجزًا .

فِرْعَوْنَ أَشَدَّ ٱلْعَذَابِ ﴿٤٦﴾﴾ [غافر : ٤٥ ، ٤٦]. فهذا عذاب القبر فى البرزخ ، وسيأتى ، وقال ابن عباس فى قوله تعالى : ﴿كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ ﴿٣﴾﴾ [التكاثر : ٣] : فى الآخرة إذا حل بكم العذاب ، فالأول فى القبر ، والثانى فى الآخرة ، فالتكرير للحالتين.

وروى زر بن حبيش عن على - رضى اللَّه عنه - قال : كنا نشك فى عذاب القبر حتى نزلت هذه السورة : ﴿أَلْهَىٰكُمُ ٱلتَّكَاثُرُ ﴿١﴾ حَتَّىٰ زُرْتُمُ ٱلْمَقَابِرَ ﴿٢﴾ كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ ﴿٣﴾﴾ [التكاثر : ١-٣]. يعنى فى القبور . وقال أبو هريرة : يضيق على الكافر قبره حتى تختلف فيه أضلاعه ، وهو المعيشة الضنك[١].

(٢) الدليل من حديث النبى ﷺ :

(١) عن عائشة رضى اللَّه عنها قالت : دخل علىّ رسول اللَّه ﷺ وعندى امرأة من اليهود وهى تقول : هل شعرت أنكم تُفْتنون فى القبور؟ قالت : فارتاع رسول اللَّه ﷺ وقال : « إنما تُفْتن يهود) قالت عائشة : فلبثنا ليالى ، ثم قال رسول اللَّه ﷺ : « هل شعرت أنه أوحى إلىّ أنكم تُفْتنوا فى القبور » .

قالت عائشة : سمعت رسول اللَّه ﷺ بعدُ يسْتَعيذ من عذاب القبر[٢] .

(٢) وفى رواية عنها قالت : دخلت علىّ عجوزان من عُجز يهود المدينة فقالتا : إن أهل القبور يُعَذَّبون فى قبروهم . قالت : فَكَذَّبْتُهُما ولم أنعم أن أُصَدِّقهما ، فخرجتا ودخل علىَّ رسول اللَّه - ﷺ - فقلت له : يا رسول اللَّه إن عجوزين من عُجُز يهود المدينة دخلتا علىّ فزعمتا أن أهل القبور يُعَذَّبُون فى قبروهم! ، فقال : « صَدَقتَا إنهم يعذبون عذابًا تسمعه البهائم » . قالت : فما رأيته فى صلاةٍ إلا يتعوذ من عذاب القبر[٣] .

(٣) وعن أبى أيوب الأنصارى قال : خرج النبى - ﷺ - وقد وجبت الشمس فسمع صوتًا فقال : « يهود تُعَذَّب فى قبورها »[٤] .

---

(١) حسن: الترمذى (٣٣٥٥) فى التفسير.

(٢) رواه مسلم فى المساجد ح رقم (١٢٣).

(٣) رواه البخارى (١٣٧٧) فى الجنائز.

(٤) رواه البخارى (١٣٧٥) ومسلم فى صفة الجنة .

(٤) وفى حديث ابن عباس - رضى اللَّه عنهما - أن النبى - ﷺ - مَرّ بقبرين فقال : « إنهما لَيُعَذَّبان وما يُعَذَّبان فى كبير ، أما أحدهما فكان لا يستبرئ من البول ، وأما الآخر فكان يمشى بالنميمة »[1] .

(٥) وهذا حديث البراء بن عازب المشهور الجامع لأحوال الموتى عند قبض أرواحهم وفى قبروهم.

قلت : وهذا الحديث جامعٌ لكل هذه الأمور مشهور ، تقبلته الأمة بالقبول والإيمان به ، وقد جمعنا طرقه نقلاً عن القرطبى فى التذكرة ، وعن الألبانى - رحمه اللَّه - فى كتاب أحكام الجنائز. وإليك الحديث بروايته :

أخرجه أبو داود الطيالسى وعبد بن حميد فى مسنديهما ، وهناد بن السرى فى زهده ، وأحمد ابن حنبل فى مسنده ، وغيرهم ، وهو حديث صحيح له طرق كثير ، تهمم بتخريج طرقه على بن معبد فى « كتاب الطاعة والمعصية » فأما أبو داود الطيالسى فقال : حدثنا أبو عوانة عن الأعمش ، وقال هناد وأحمد : حدثنا أو معاوية عن الأعمش عن المنهال بن عمرو ، وقال أبو داود : حدثنا عمرو بن ثابت سمعه من المنهال بن عمرو عن زاذان عن البراء - يعنى ابن عازب - وحديث أبى عوانة أتمهما ، وقال البراء بن عازب : خرجنا مع رسول اللَّه ﷺ فى جنازة رجل من الأنصار ، فانتهينا إلى القبر ، ولما يلحد ، فجلس رسول اللَّه ﷺ وجلسنا حوله ، كأنما على رؤوسنا الطير- وقال : عمرو بن ثابت : وقع ، ولم يقله أبو عوانة - فجعل يرفع بصره ، وينظر إلى السماء ويخفض بصره ، وينظر إلى الأرض ، ثم قال : « أعوذ باللَّه من عذاب القبر » . قالها مرارًا ، ثم قال : « إن العبد المؤمن إذا كان فى إقبال من الآخرة وانقطاع من الدنيا ، جاءه ملك فجلس عند رأسه فيقول : اخرجى أيتها النفس الطيبة إلى مغفرة من اللَّه ورضوان . فتخرج نفسه فتسيل كما يسيل قطرة السقاء ».

قال عمرو فى حديث : - ولم يقله أبو عوانة - : « وإن كنتم ترون غير ذلك ،

(١) رواه البخارى (١٣٧٨) فى الجنائز ومسلم فى الطهارة .

وتنزل ملائكة من الجنة بيض الوجوه ، كأن وجوههم الشمس ، ومعهم أكفان من أكفان الجنة ، وحنوط من حنوطها ، فيجلسون منه مد البصر ، فإذا قبضها الملك لم يدعوها فى يده طرفة عين » . قال فذلك قوله تعالى : ﴿تَوَفَّتْهُ رُسُلُنَا وَهُمْ لَا يُفَرِّطُونَ﴾ [الأنعام : ٦١]. قال : « فتخرج نفسه كأطيب ريح وجدت ، فتعرج به الملائكة فلا يأتون على جند فيما بين السماء والأرض إلا قالوا : ما هذه الروح؟ فيقال : فلان ، بأحسن أسمائه حتى ينتهوا به إلى باب سماء الدنيا ، فيفتح له ، ويشيعه من كل سماء مقربوها حتى ينتهى إلى السماء السابعة ، فيقال : اكتبوا كتابه فى عليين ﴿وَمَا أَدْرَاكَ مَا عِلِّيُّونَ ۝ كِتَابٌ مَرْقُومٌ ۝ يَشْهَدُهُ الْمُقَرَّبُونَ ۝﴾ [المطففين : ١٩ - ٢١] . فيكتب كتابه فى عليين ، ثم يقال : ردوه إلى الأرض فإنى وعدتهم أنى منها خلقتهم ، وفيها نعيدهم ، ومنها نخرجهم تارة أخرى » . وقال : « فيرد إلى الأرض ، وتعاد روحه فى جسده ، فيأتيه ملكان شديدا الانتهار فينتهرانه ، ويجلسانه فيقولان : من ربك؟ وما دينك؟ ومن نبيك ؟ فيقول : ربى اللَّه ودينى الإسلام . فيقولان : فما تقول فى هذا الرجل الذى بعث فيكم؟ فيقول : جاءنا بالبينات من ربنا فآمنت به وصدقت » . قال : وذلك قوله تعالى : ﴿يُثَبِّتُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ﴾ [إبراهيم : ٢٧].

قال : « وينادى مناد [من] السماء أن قد صدق عبدى ، فألبسوه من الجنة وأفرشوه من الجنة ، وأروه منزله ، منها ويفسح له مد بصره ، ويمثل عمله له فى صورة رجل حسن الوجه طيب الرائحة حسن الثياب ، فيقول : أبشر بما أعد اللَّه لك أبشر برضوان من اللَّه وجنات فيها نعيم مقيم . فيقول : بشرك اللَّه بخير ، من أنت فوجهك الذى جاء بالخير؟ فيقول : هذا يومك الذى كنت توعد - أو الأمر الذى كنت توعد - أنا عملك الصالح ، فواللَّه ما علمتك إلا كنت سريعًا فى طاعة اللَّه ، بطيئًا عن معصية اللَّه ، فجزاك اللَّه خيرًا. فيقول : يا رب أقم الساعة ، كى أرجع إلى أهلى ومالى » .

قال : « فإن كان فاجرًا وكان فى إقبال من الدنيا وانقطاع من الآخرة جاء ملك ، فجلس عند رأسه فقال : اخرجى أيتها النفس الخبيثة ، أبشرى بسخط من اللَّه وغضبه . فتنزل الملائكة سود الوجوه معهم ممسوح من نار ، فإذا قبضها الملك

قاموا فلم يدعوها فى يده طرفة عين » . قال : « فتفرق فى جسده فيستخرجها ، تقطع منها العروق والعصب كالسفود الكثير الشعب فى الصوف المبتل ، فتؤخذ من ، الملك فتخرج كأنتن جيفة وجدت ، فلا تمر على جند فيما بين السماء والأرض ، إلا قالوا : ما هذه الروح الخبيثة؟ فيقولون : هذا فلان بأسوأ أسمائه ، حتى ينتهوا به إلى سماء الدنيا فلا يفتح لهم ، فيقول : ردوه إلى الأرض ، إنى وعدتهم أنى منها خلقتهم وفيها نعيدهم ومنها نخرجهم تارة أخرى » . قال : « فيرمى به من السماء » . قال : وتلا هذه الآية : ﴿وَمَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَكَأَنَّمَا خَرَّ مِنَ ٱلسَّمَآءِ فَتَخْطَفُهُ ٱلطَّيْرُ أَوْ تَهْوِى بِهِ ٱلرِّيحُ فِى مَكَانٍ سَحِيقٍ﴾ [الحج : ٣١].

قال : « فيعاد إلى الأرض وتعاد فيه روحه ، ويأتيه ملكان شديدا الانتهار ، فينتهرانه ويجلسانه ، فيقولان : من ربك؟ وما دينك؟ فيقول : لا أدرى . فيقولان : فما تقول فى هذا الرجل الذى بُعث فيكم؟ فلا يهتدى لاسمه . فيقال : محمد ؟ فيقول : لا أدرى سمعت الناس يقولون ذلك » . قال : « فيقال : لا دريت فيضيق عليه قبره حتى تختلف أضلاعه ، ويمثل له عمله فى صورة رجل قبيح الوجه ، منتن الريح ، قبيح الثياب ، فيقال : أبشر بعذاب اللَّه وسخطه . فيقول : من أنت فوجهك الذى جاء بالشر؟ فيقول : أنا عملك الخبيث ، فواللَّه ما علمتك إلا كنت بطيئًا عن طاعة اللَّه سريعًا إلى معصية اللَّه »[1] .

قال عمرو فى حديثه عن المنهال عن زاذان عن البراء عن النبى ﷺ : « فيقيض له [ملك] أصم أبكم بيده مرزبة لو ضرب بها جبل صار ترابًا - أو قال : رميمًا - فيضربه بها ضربة تسمعها الخلائق إلا الثقلين ، ثم تعاد فيه الروح فيضربه ضربة أخرى ». لفظ أبى داود الطيالسى وخرجه على بن معبد الجهنى من عدة طرق بمعناه : وزاد فيه : « ثم يقيض له أعمى أصم معه مرزبة من حديد فيضربه بها ضربة فيدق بها من ذؤابته إلى خصره ثم يعاد فيضربه ضربة فيدق بها من ذؤابته إلى خصره » . وزاد فى بعض طرقه عند قوله - : « مرزبة من حديد » .- « لو اجتمع عليه الثقلان لم ينقلوها ، فيضرب بها ضربة فيصير ترابًا ، ثم تعاد فيه الروح ،

(١) صحيح: الطيالسى (٧٥٣).

فيضرب ها ضربة يسمعها من على الأرض غير الثقلين ، ثم يقال : افرشوا له لوحين من نار ، وافتحوا له بابًا إلى النار . فيفرش له لوحان من نار ، ويفتح له باب إلى النار » . وزاد فيه عند قوله - : « وانقطاع من الدنيا » . - : « نزلت به ملائكة غلاظ شداد معهم حنوط من نار وسرابيل من قطران يحتوشونه فتنتزع نفسه كما ينتزع السفود الكثير الشعب من الصوف المبتل ، يقطع معه عروقها ، فإذا خرجت نفسه لعنه كل ملك فى السماء وكل ملك فى الأرض » .

وخرج أبو عبد الرحمن النسائى بسنده عن أبى هريرة أن رسول اللَّه ﷺ قال : « إذا احتضر المؤمن أتته ملائكة الرحمة بحريرة بيضاء فيقولون : اخرجى راضية مرضيًّا عنك إلى روح وريحان ، ورب راض غير . غضبان فتخرج كأطيب ريح المسك ، حتى إنه ليناوله بعضهم بعضًا حتى يأتوا به باب السماء ، فيقولون : ما أطيب هذه الريح التى جاءتكم من الأرض . فيأتون به أرواح المؤمنين ، فلهم أشد فرحًا من أحدكم بغائبه يقدم عليه فيسألونه : ما فعل فلان؟ ما فعلت فلانة؟ فيقولون : دعوه فإنه كان فى غم الدنيا . فإذا قال : ما أتاكم؟ قالوا : ذُهِبَ به إلى أمه الهاوية . وإن الكافر إذا احتضر أتته ملائكة العذاب بمسح فيقولون : اخرجى ساخطة مسخوطًا عليك إلى عذاب اللَّه . فتخرج كأنتن ريح خبيثة حتى يأتوا به باب الأرض ، فيقولون : ما أنتن هذه الريح . حتى يأتوا به أرواح الكفار »[١].

وخرج أبو داود الطيالسى قال : حدثنا حماد عن قتادة عن أبى الجوزاء ، عن أبى هريرة أن النبى ﷺ قال : « إذا قبض العبد المؤمن جاءته ملائكة الرحمة فتسلم وتسل نفسه فى حريرة بيضاء ، فيقولون : ما وجدنا ريحًا أطيب من هذه . فيسألونه فيقولون : ارفقوا به ؛ فإنه خرج من غم الدنيا . فيقولون : ما فعل فلان؟ ما فعلت فلانة؟ » قال : « وأما الكفار فتخرج نفسه فتقول خزنة الأرض : ما وجدنا ريحًا أنتن من هذه . فيهبط به إلى أسفل الأرض »[٢].

---

(١) صحيح: النسائى (٨/٤) الحاكم (١/ ٣٥٣)، وصححه ووافقه الذهبى.
(٢) صحيح: الطيالسى (٢٣٨٩).

(٢) الدليل العقلى على عذاب القبر :

(١) لو نام اثنان وبقى شخص ثالث مستيقظ ، فرأى أحدهما فى ونومه أنه يُعذَّب ، وكان يتألم ألمًا شديدًا ، بينما رأى الثانى أنّه يتمتع بنعيم لم يره من قبل ، ثم استيقظا فحكى كلٌّ منهما عمّا رآه للثالث لصدقهما ؛ لأن البشرية تواترت على تصديق ما يُرى فى النوم ، فلا نملك تكذيبًا له .

وبهذا يصح أن نقول : إن الإنسان فى نومه يصبح فى عالم آخر ، فقد يرى فيه من مات ، أو يرى أمرًا مستقبليًا لم يحدث بعد ، أو يرى شخصًا لم يولد بعد ، أو يرى حدثًا من ملايين السنين ، فإذا كان هذا جائزًا فى الحياة ، فكيف لا يجوز بعد الممات؟

(٢) وعالم الغيب لا نستطيع إجراء أحكام عالم الشهادة عليه ، فليس النائم كالمستيقظ ، وليس المريض كالصحيح ؛ فالمريض مثلًا حينما يكون تحت تأثير المخدر لا تجرى عليه أحكام الأحياء المستيقظين وهو نفسه ينتقل إلى عالم آخر ملىء بالعجائب ، فمن المحال أن نقول : إن العَالَم الذى يراه النائم والمخدَّر والميت هو هو عالمنا الذى نحياه ، وبذلك لا نستطيع أن نجرى أحكام عالمنا على هذه العوالم الغامضة التى تفوق تصورنا ، فبدلًا من سؤال : لماذا؟ نقول : آمنا باللّٰه وبرسوله وبالغيب من كل ما لا نراه . لقد قال اللّٰه تعالى : ﴿ وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلرُّوحِ قُلِ ٱلرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّى وَمَآ أُوتِيتُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٨٥﴾ ﴾ [الإسراء : ٨٥].

فليجبنا الكذابون المكذبون بالقبر وما فيه : أين أرواح أسلافكم؟

وكيف يعترف أحدكم بـ (الضمير - والحدس الأخلاقى - والحياة الروحية) ثم يرفض أن يكون للروح عالمها الذى خصها اللّٰه تعالى به .

إنكم أقررتم بالروح وعالمها ، وبأن للجسد عالمه ، فأجيبونا : ما وصف الروح ؟ وما هيئتها ؟ وإلى أين تصير ؟

نحن عندنا ما أجبناكم به ، وأنتم لا تملكون إلا التشكيك دون دليل!!

(٣) وإذا تمسكنا بمسألة عالم الغيب وعالم الشهادة ، نعود فنقول :

إنَّ (المُغْمى عليه) نكون بجواره ، ومع ذلك لا نشعر بما يحدث له ، ولا بما يراه ، ولا بما يحلم به ، رغم كونه حيًّا ، ورغم كونه أمامنا وبجوارنا ، فكيف بمن سكت ومات ، وانتقل إلى عالم غير عالمنا ؟

إن هذا شبيه بالكهرباء ، نشعر بها ولا نراها .

وبذبذبات الإرسال التى تؤثر دون أن نراها .

فكيف نؤمن بالصنع البشرى ، ولا نؤمن بالقدرة الإلهية ؟!

(٤) وهذا يجيب عن سؤال : المومياوات هل تُعَذب؟ ولِمَ لا نسمع صوتها؟ نقول له : هى تُعذب ، ولكن هل سمعت صوت معذب من تحت قبره؟ والإجابة : (لا) . فمن باب أوْلى ألَّا تسمعه وهى على سطح الأرض. وكذا من مات فى قعر البحر وأكلته الوحوش فاللَّه تعالى قادر على جمعه وتعذيبه أو تنعيمه.

وفى الحديث أنه ﷺ قال : «ولو سمعها إنسان لصُعِقَ»[١] .

ولقد أخبر ﷺ فقال : «لولا ألَّا تدافنوا لدعوتُ اللَّهَ أن يُسْمِعَكُمْ من عذاب القبر الذى أسمع»[٢] .

فلو سمع الإنس ما يحدث للمعذب فى قبره لخفنا الدفن فلم ندفن أحدًا ، ولوقع العذاب أيضًا دون دفنٍ ، فغلبت حكمة اللَّه فى تكريم بنى آدم بالدفن ؛ فأخفى عنّا صوت المعذبين.

وأخفى صورة وصوت المنعمين فى قبورهم ؛ لئلا يتمنى الناس الموت فتتعطل الحياة تمامًا .

ثم ألا ترى إلى صوت الرعد ، والزلازل ، والبراكين ، يخشاه الناس ويخافونه ، بل يكاد أحدهم أن يصعق منه ، فكيف بصوت مطارق الحديد التى تعذب بها الملائكة ؟!

---

(١) رواه البخارى (١٣١٦) فى الجنائز .

(٢) صحيح : وقد سبق .

أقوال السلف فى الإيمان بعذاب القبر ونعيمه

وبعد هذه الأدلة نسوق كلام السلف فى الإيمان بعذاب القبر ونعيمه :

(١) قول أبى هريرة رضى اللَّه عنه :

قال سعيد بن المسيب : رأيتُ أبا هريرة صلى على منفوس إن عمل خطيئة قط ، فقال : اللَّهُمَّ أَعِذْهُ من عذاب القبر[١] .

(٢) قول أنس بن مالك رضى اللَّه عنه :

وقال أبو عبد اللَّه الداناج :

شهدت أنس بن مالك رضى اللَّه عنه ،وقال له رجل : إن قومًا يكذبون بالشفاعة . قال : لا تجالسوهم. فسأله آخر : إن قومًا يكذبون بعذاب القبر . فقال : لا تجالسوهم[٢].

(٣) قول الإمام أحمد بن حنبل - رحمه اللَّه - :

وقال حنبل : سمعت أبا عبد اللَّه - يعنى : أحمد بن حنبل - يقول :

إذا صير العبد إلى لحده وانصرف عنه أهله ، أعيد إليه روحه فى جسده ، فيُسْأل حينئذ فى قبره ، وهو قول اللَّه تعالى : ﴿يُثَبِّتُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱلْقَوْلِ ٱلثَّابِتِ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ﴾ [إبراهيم : ٢٧]. يعنى : القبر ، فنسأل اللَّه أن يثبتنا على طاعته ، ويبارك لنا تلك الساعة عند المساءلة ، فالسَّعيد من أسعده اللَّه عز وجلّ.

وقال : سمعت أبا عبد اللَّه يقول : نؤمن بعذاب القبر ، ومنكر ، ونكير[٣].

وقال على بن عبد اللَّه المدينى - أحد الثقات فى الحديث - : (نؤمن بعذاب القبر ، ونقول : إنه حق ، وإن هذ الأمة تُفتن فى قبورها ، ويسأل عن النبى ﷺ ، ونؤمن بمنكر ونكير)[٤] .

---

(١) اللالكائى (٢١٤١) فى شرح أصول اعتقاد أهل السنة.

(٢) صحيح: رواه أحمد بنحوه (٢/ ١٣٢) فى المسند، واللالكائى (٢١٤٣) فى شرح أصول الاعتقاد .

(٣) اللالكائى (٢١٥٨) فى شرح أصول الاعتقاد.

(٤) السابق (٢١٥٩).

وقال أحمد بن حنبل أيضًا : عذب القبر حق لا ينكره إلا ضالٌ أو مُضِلٌ .

عذاب القبر هو نفسه عذاب البرزخ

يقول ابن قيم الجوزية فى الروح : ومما ينبغى أن يُعلم أن عذاب القبر ، هو عذاب البرزخ ، فكل من مات وهو مستحق للعذاب ناله نصيبه منه ، قُبر أو لم يُقْبَرْ ، فلو أكلته السباع أو أحرق حتى صار رمادًا ، ونُسِفَ فِى الهواء ، أو صُلِبَ ، أو غرق فى البحر ، وصل إلى روحه وبدنه من العذاب ما يصل إلى القبور[١] . ثم قال : وعذاب القبر ونعيمه اسم لعذاب البرزخ ونعيمه ، وهو ما بين الدنيا والآخرة ، قال تعالى : ﴿وَمِن وَرَآئِهِم بَرْزَخٌ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ﴾ [المؤمنون : ١٠٠]. وهذا البرزخ يشرف أهله فيه على الدنيا والآخرة ، وسُمِّى عذاب القبر ونعيمه ، وأنه روضة أو حفرة نار باعتبار غالب الحق ، فالمصلوب والحريق والغريق وأكيل السباع والطيور له من عذاب البرزخ ونعيمه قسطه الذى تقتضيه أعماله وإن تنوعت أسباب النعيم والعذاب وكيفياتهما ، وقد ظنَّ بعض الأوائل أنه إذا حُرِقَ جسده بالنار وصار رمادًا وذُرى بعضه فى البحر وبعضه فى البر فى يوم شديد الريح أنه ينجو من ذلك ، فأوصى بنيه أن يفعلوا به ذلك ، فأمر اللَّه البحر فجمع ما فيه ، وأمر البر فجمع ما فيه ، ثم قال : قُم . فإذا هو قائم بين يدى اللَّه ، فسأله : ما حملك على ما فعلت؟ فقال : خشيتك يا رب ، وأنت أعلم . فما تلافاه أن رحمه ، فلم يَفُت عذاب البرزخ ونعيمه لهذه الأجزاء التى صارت فى هذه الحال ، حتى ولو علق الميت على رءوس الأشجار فى مهابّ الريح لأصاب جسده من عذاب البرزخ حظه ونصيبه ، ولو دُفِنَ الرجل الصالح فى أَتُونٍ من النار لأصاب جسده من نعيم البرزخ وروحه نصيبه وحظه ، فيجعل اللَّه النار على هذا بردًا وسلامًا ، والهواء على ذلك نارًا وسمومًا ، فعناصر العالم مُنْقَادَة لرَبِّها وفاطرها وخالقها يُصَرِّفها كيف يشاء ولا يستعصى عليه منها شىء أراده ، بل هى طَوْع مشيئته مُذَلَّلة مُنْقادةٌ لقدرته ، ومَن أنكر هذا فقد جحد رب العالمين ، وكفر به وأنكر ربوبيته[٢] .

---

(١) الروح لابن قيم الجوزية ص ٧٨ .

(٢) الروح لابن قيم الجوزية (٩٩، ١٠٠).

- أمور تتعلق بالقبور-

القبر وصفته الشرعية

(أ) حكم الدفن :

هو فرض كفاية بالإجماع ، واجب على المسلمين وإن كان الميت كافرًا .

وقد قال اللَّه تعالى : ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِيٓ ءَادَمَ﴾ [الإسراء : ٧٠] . فالكرامة الممنوحة هنا لبنى الإنسان مطلقًا ومنه قوله تعالى : ﴿ثُمَّ أَمَاتَهُۥ فَأَقْبَرَهُۥ ﴿٢١﴾﴾ [عبس : ٢١] . فكان الدفن كرامة للمسلم والكافر على حد السواء. وروى البخارى (٣٩٧٦) ومسلم (٢٨٧٥) عن أبى طلحة رضى اللَّه عنه أنه ﷺ أمَر يوم بدرٍ بأربعة وعشرين رجلًا من صناديد قريش فيقذفوا فى طوى من أطواء بدرٍ . أى بئر من آباره.

واجتمع المسلمون على دفن المسلم فى مقابر المسلمين ، ودفن الكافر فى مقابر الكافرين.

والنبى عليه السلام فصل ذلك يوم بدرٍ كما فى الحديث السابق ، فشهداء المسلمين دفنوا وحدهم بعيدًا عن قتلى المشركين وجثثهم.

(ب) الحكمة من الدفن :

(١) هو تعليم إلهىٌ ؛ حيث كان تعليم بنى آدم الدفن ظاهرًا فى قوله تعالى : ﴿فَبَعَثَ ٱللَّهُ غُرَابًا يَبْحَثُ فِي ٱلْأَرْضِ لِيُرِيَهُۥ كَيْفَ يُوَٰرِي سَوْءَةَ أَخِيهِ﴾ [المائدة : ٣١].

(٢) وهو إقرار لكرامة بنى آدم ، وعدم هتك سترهم أمواتًا ، وقد سترهم اللَّه أحياءً.

(٣) عدم تأذى الناس برائحة الجثة التى تصير بعد أيام مجرد (جيفة) منتنة

- إلا أجساد الأنبياء والشهداء - فيتأذى الناس برائحتها وتصبح نهبة للكواسر والجوار ح ، وتخيف الناس فلا يتدافنون بعدُ.

(٤) هو إقرار لقضاء اللَّه سبحانه لآدم عليه السلام إذ قال : ﴿۞ مِنْهَا خَلَقْنَٰكُمْ وَفِيهَا نُعِيدُكُمْ وَمِنْهَا نُخْرِجُكُمْ تَارَةً أُخْرَىٰ ﴿٥٥﴾﴾ [طه : ٥٥].

(جـ) الصفة الشرعية للقبر :

* أقل القبر : حفرة عميقة تفيد الآتى :

* ستر الميت .

* عدم انبعاث رائحة جيفتة منها .

* عدم قدرة السباع والحيوانات على نبشها .

وأكمل صفات القبر : اللحد.

وفى حديث ابن عباس رضى اللَّه عنهما ، قال ﷺ :

« اللَّحْدُ لنا ، والشَّقُّ لغيرنا » . صححه الألبانى (٥٤٨٩) فى صحيح الجامع وعند مسلم (٩٠/٩٦٦) فى الجنائز ، قال سعد بن أبى وقاص رضى اللَّه عنه فى مرضه الذى هلك فيه : (ألحدوا لى لحدًا ، وانصبوا علىّ اللَّبِنَ نَصْبًا ، كما صُنِعَ برسول اللَّه ﷺ) .

المستحب فى القبر

(١) التوسعة والتحسين والإيمان :

وفى حديث الترمذى بسند صحيح عن هشان بن عامر رضى اللَّه عنه قال : جاءت الأنصار إلى رسول اللَّه ﷺ يوم أُحدٍ فقالوا : أصابنا قرح وجهُدٌ ؛ فكيف تأمرنا؟ فقال عليه السلام :

« احفُروا ، وأَوْسِعُوا ، واجعلوا الرجلين والثلاثة فى القبر » . الحديث.

(٢) وتكون التوسعة من قبل الرأس والرجلين :

[كما فى حديث الإمام أحمد فى المسند (٢٢٣٧٨) . أنه عليه السلام قال :]

« أَوْسِع من قِبَل الرأس ، وأَوْسِعْ من قِبَل الرجليْن ، فَلَرُبَّ عذق له فى الجنة » .

(٣) جعل القبر مُسنمًا :

أى قدر سنام الجمل وهو شبر ، وفى حديث البخارى (١٣٩٠) عن سفيان

الثمار قال : (رأيت قبر النبى ﷺ مُسنمًا) .

(٤) ويعلَّم القبر بحجر أو نحوه :

كما فى حديث البيهقى بسند حسن ، أنه عليه السلام وضع حجرًا على قبر عثمان بن مظعون وقال : «ليعلّم بها قبر أخى ، وأدفن إليه مَنْ مات مِنْ أهلى»

(هـ) المكروه فى القبر :

تعليته ، وبناؤه ،وتجصصيه ، والقعود عليه.

والتجصيص : هو البناء بالجير.

يجمع ذلك كله حديث مسلم (٩٧٠/ ٩٤) فى الجنائز عن جابر رضى اللَّه عنه أنه قال : «نهى رسول اللَّه ﷺ أن يُجصَّصَ القبر ، وأن يُقْعَد عليه ، وأن يُبْنَى عليه » .

وفى حديث مسلم (٩٦٩/ ٩٣) فى الجنائز أن أبا الهياج الأسدى قال : قال لى على بن أبى طالب : ألا أنبئك على ما بعثنى عليه رسول اللَّه ﷺ؟ (أن لا تدع تمثالًا إلا طمسته ، ولا قبرًا مُشْرفًا إلا سوّيته).

وللمزيد ارجع إلى (أحكام الجنائز) من تأليفنا ط- دار الأصولى .

اختيار مكان للدفن

روى البخارى ومسلم عن أبى هريرة قال : «سل ملك الموت إلى موسى عليه السلام ، فلما جاء صكه ففقأ عينه ، فرجع إلى ربه ، فقال : أرسلتني إلى عبدٍ لا يريد الموت» . قال : «فردَّ اللَّه عينه ، وقال : ارجع إليه ، وقل له : يضع يده على متن - جلد - ثور ، فله بما غطت يده بكل شعرة سنة . قال : أى رب ، ثم مه؟ قال : ثم الموت . قال : فالآن. فسأل اللَّه أن يدنيه من الأرض المقدسة رمية حجر» . فقال رسول اللَّه ﷺ : «لو كنت ثمَّ لأريتكم قبره إلى جانب الطريق تحت الكثيب الأحمر» .

وفى الموطأ أن عمر رضى اللَّه عنه ، كان يقول : اللَّهم ارزقنى شهادة فى

سبيلك ووفاة فى بلد نبيك[١] . وقال ﷺ : « من استطاع أن يموت بالمدينة فليمت بها ، فإنى أشفع لمن مات بها »[٢]

قال علماؤنا رحمة اللَّه عليهم : البقاع (الأماكن) لا تقدِّس أحدًا ولا تطهره ، وإنما الذى يُقدِّسه من وخز الذنوب ودنسها التوبة النصوح مع الأعمال الصالحة ،أما إنه قد يتعلق بالبقعة تقديس ما ، وهو إذا عمل العبد فيها عملا صالحًا ضوعف له بشرف البقعة مضاعفة تكفر سيئاته ، وترجح ميزانه ، وتدخله الجنة ، وكذلك تقديسه إذا مات على معنى التتبع لصالح ، لا أنها توجب التقديس ابتداء. وهذا من كلام القرطبى - رحمه اللَّه - .

وكان أبو الدرداء قد كتب إلى سلمان يقول له : هَلُمَّ إلى الأرض المقدسة. فكتب إليه سلمان : إنّ الأرض لا تُقدس أحدًا ، وإنّما يقدس المرء عمله[٣].

قلت : والأرض بذاتها لا تقدس أحدًا ،فمكة أم القرى التى هى أشرف البقاع اختارها اللَّه لبيته وحرمه الآمن كانت يومًا من الأيام يسير على أرضها كبار الكفار وطواغيتهم ، يتقدمهم فرعون الأمة أبو جهل وأقرانه فما قدستهم مكَّة ، ولا أرض الحجاز بل ماتوا على الكفر جميعًا واستحقوا النار وبئس المهاد.

وكم من يهودى سار على أرض بيت المقدس وطئها فما قدسته تلكم الأرض ولا رفعت خسيسته طالما أصَرَّ على الكفر ، فالعمل الصالح يرفع مكانة العبد ، إضافة إلى دفنه فى ارض مقدسة طاهرة.

والسؤال : ما معنى فقأ موسى عليه السلام عين ملك الموت؟

يقول الإمام القرطبى - رحمه اللَّه - :

فالجواب من وجوه ستة :

الأول : أنها كانت عينًا متخيلة ، لا حقيقة لها ، وهذا القول باطل ؛ لأنه يؤدى

---

(١) صحيح: مالك (١٠٢) فى الموطأ .

(٢) صحيح: الترمذى (٣٩١٧) فى المناقب .

(٣) حلية الأولياء (١/ ٢٠٥) ، وسير أعلام النبلاء (١/ ٥٤٩) وصفة الصفوة (١/ ٥٤٨).

إلى أن ما يراه الأنبياء من صور الملائكة لا حقيقة لها ، وهذا مذهب السالمية.

الثانى : أنها كانت عينًا معنوية ، فقأها بالحجة ، وهذا مجاز لا حقيقة له.

الثالث : أنه لم يعرفه ، وظنه رجلاً دخل منزله بغير إذنه ، يريد نفسه فدافع عنها ، فلطمه ففقأ عينه ، وتجب المدافعة فى مثل هذا بكل ممكن ، وهذا وجه حسن لأنه حقيقة فى العين والصك.

الرابع : أن موسى عليه السلام كان سريع الغضب ، وسرعة غضبه كانت سبًا لصحة ملك الموت ، وهذا فاسد ، لأن الأنبياء معصومون أن يقع منهم ابتداءًا مثل هذا فى الرضا والغضب.

الخامس : أن عينه المستعارة ذهبت لأجل أنه جعل له أن يتصور بما شاء ، فكأن موسى عليه السلام لطمه وهو متصور بصورة غيره ، بدلالة أنه رأى بعد ذلك معه عينه.

السادس : وهو أصحها إن شاء اللَّه ، وهو أن موسى - عليه السلام- كان عنده ما أخبر نبينا عليه السلام من أن اللَّه تعالى لا يقبض روحه حتى يخيره ، فلما جاء ملك الموت على غير الوجه الذى أُعلم بادر بشهامته وقوة نفسه إلى أدبه ، فلطمه ففقئت عينه امتحانًا لملك الموت ، إذ لم يصرح له بالتخيير ، ومما يدل على صحة هذا : أنه لما رجع إليه ملك الموت فخيره بين الحياة والموت ،

اختار الموت واستسلم واللَّه أعلم بغيبه وأحكم.

وقد ذكر الترمذى الحكيم فى نوادر الأصول حديث أبى هريرة عن رسول اللَّه ، ﷺ قال : « كَانَ مَلَكُ الموت - علي السلامُ - يَأتِى النَّاس عَيانًا ، حَتَى أتَى مُوسَى عليه السلام فلطمه ففقأ عَيْنَهُ » (الحديث بمعناه) . وفى آخره : « فَكَانَ يَأْتِى النَّاسَ بَعْدَ ذَلِكَ فِى خُفْيَةٍ »[١].

---

(١) صحيح: الحكيم الترمذى (٤٢) فى نوادر الأصول.

يدفن العبد فى الأرض التى خُلِق منها

روى الترمذى عن مطر بن عكامس قال : قال رسول اللَّه ﷺ : « إذا قَضَى اللَّهُ لِعَبْدٍ أَنْ يَمُوتَ بِأَرْضٍ جَعَلَ لَهُ إِلَيْهَا حَاجَةً » أَوْ قَالَ : « بِهَا حَاجَةً »[١] ، وأنشدوا :

إِذَا مَا حِمامُ الْمَرْءِ كانَ بِبَلْدَةٍ ... دَعَتْهُ إِلَيْها حَاجَةٌ فَيَطِيرُ

وروى الترمذى الحكيم أبو عبد اللَّه فى نوادر الأصول عن أبى هريرة : خرج علينا رسول اللَّه ﷺ يطوف ببعض نواحى المدينة ، وإذا بقبر يحفر ، فأقبل حتى وقف عليه ، فقال : « لِمَنْ هَذَا » قيل : لِرَجُلٍ مَن الحبشة ، فقال : « لا إِلَه إلا اللَّهُ سِيقَ مِنْ أرضه وسمائه حتى دُفِنَ فى الأرضِ التى خُلِقَ منها »[٢].

قال القرطبى - رحمه اللَّه - :

قال علماؤنا رحمة اللَّه عليهم : فائدة هذا الباب : تنبيه العبد على التيقظ للموت والاستعداد له بحسن الطاعة والخروج عن المظلمة ، وقضاء الدين ، وإتيان الوصية بما له أو عليه فى الحضر ، فضلًا عن أوان الخروج عن وطنه إلى سفر ، فإنه لا يدرى أين كتبت منيته من بقاع الأرض.

وأنشد بعضهم :

مَشَيْنَاهَا خُطًى كُتِبَتْ عَلَيْنَا ... وَمَنْ كُتِبَتْ عَلَيْهِ خُطًى مَشَاهَا

وَأَرْزاقٌ لَنَا مُتَفَرِّقَاتٌ ... فَمَنْ لَمْ تَأْتِهِ مِنْهُ أَتَاهَا

وَمَنْ كُتِبَتْ مَنِيَّتُهُ بِأَرْضٍ ... فَلَيْسَ يَمُوتُ فِى أَرْضٍ سِوَاهَا

* * *

(١) صحيح: الترمذى (٢١٤٦)، وصححه الحاكم (١/ ٤٢)، ووافقه الذهبى.

(٢) صحيح: الحكيم الترمذى فى (نوادر الأصول) (٧١).

كُلُّ عَبْدٍ يُذَرُّ عليه من تراب حفرته وفى الرزق والأجل وبيان قوله تعالى ﴿مُّخَلَّقَةٍ وَغَيْرِ مُخَلَّقَةٍ﴾ [الحج : ٥].

أبو نعيم ، عن أبى هريرة ، قال : قال رسول اللَّه ﷺ : « مَا مِنْ مَوْلُودٍ إلاّ وَقَدْ ذُرّ عَليه مِنْ تُرَابِ حُفْرتِه »(١).

وروى مرة عن ابن مسعود : أن الملك الموكل بالرحم يأخذ النطفة من الرحم ، فيضعها على كفه ، ثم يقول : يا رب مخلقة أو غير مخلقة ؟ فإن قال : مخلقة . قال : يا رب ما الرزق؟ ما الأثر؟ ما الأجل؟ فيقول : انظر فى أم الكتاب ، فينظر فى اللوح المحفوظ فيجد فيه رزقه ، وأثره ، وأجله ، وعمله ، ويأخذ التراب الذى يدفن فى بقعته ، ويعجن به نطفته . فذلك قوله تعالى : ﴿۞ مِنْهَا خَلَقْنَاكُمْ وَفِيهَا نُعِيدُكُمْ وَمِنْهَا نُخْرِجُكُمْ تَارَةً أُخْرَىٰ ۝٥٥﴾ [طه : ٥٥] . خرجه الترمذى الحكيم فى نوادر الأصول.

وقال محمد بن سيرين : لو حلفت حلفت صادقًا بارًّا ، غير شاك ولا مستثن ، إن اللَّه ما خلق نبيه محمدًا ﷺ ، ولا أبا بكر ، ولا عمر ، إلا من طينة واحدة ، ثم ردهم إلى تلك الطينة.

قال القرطبى : وممن خلق من تلك التربة عيسى ابن مريم عليه السلام على ما سيأتى فى [المسيح الدجال ونزول عيسى ابن مريم] ، وهذا الباب يبين لك معنى قوله تعالى : ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِن كُنتُمْ فِى رَيْبٍ مِّنَ ٱلْبَعْثِ فَإِنَّا خَلَقْنَـٰكُم مِّن تُرَابٍ﴾ [الحج : ٥]. وقوله : ﴿هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن طِينٍ﴾ [الأنعام : ٢].

وقوله : ﴿ثُمَّ جَعَلَ نَسْلَهُۥ مِن سُلَـٰلَةٍ مِّن مَّآءٍ مَّهِينٍ ۝٨﴾ [السجدة : ٨] . ولا تعارض

(١) حسن بشواهده: عبد الرازق (٦٥٣٢)، أبو نعيم (٢/ ٢٨٠)، وانظر المجمع (١/ ٤٢).

فى شىء من ذلك على ما بينا فى كتاب الجامع لأحكام القرآن ، والمبين لما تضمنته من السنة ، وآى الفرقان ، وهذا الباب يجمع لك ذلك كله فتأمله.

باب ما يتبع الميت إلى قبره ، وبعده موته ، وما يبقى معه فيه

مسلم عن أنس بن مالك قال : قال رسول اللَّه ﷺ : « يَتبعُ الميتَ ثَلاثَةٌ ، فَيَرجِعُ اثنانِ وَيبْقَى وَاحِدٌ : يَتْبَعُهُ أَهْلُهُ وَمَالُهُ وَعَملُهُ ، فَيَرْجِع أَهْلُهُ وَمَالُه وَيَبْقَى عَمَلُه »[١] .

وفى حديث مسلم فى كتاب الوصية عن أبى هريرة رضى اللَّه عنه أنه ﷺ قال :

« إذا مات ابن آدم انقطع عمله إلا من ثلاث : صدقة جارية ، أو علم يُنْتفع به ، أو ولدٌ صالحٌ يدعو له »[٢] .

ومما ينتفع به الميت أيضًا : تغميض بصره ، والدعاء له

كما جاء فى حديث مسلم فى الجنائز بالسند عن أم سلمة رضى اللَّه عنها أنه ﷺ دخل على أبى سلمة وقد شُقَّ بصره ، فأغمضه ثم قال : « إنّ الروح إذا قُبِضَ تبعه البصر » . فضج ناسٌ من أهله ، فقال ﷺ : « لا تدعو على أنفسكم إلا بخيرٍ ، فإن الملائكة يؤمنون على ما تقولون » ثم قال : « اللَّهم اغفر لأبى سلمة ، وارفع درجته فى المهديين ، واخْلُفْه فى عَقبه فى الغابرين ، واغفر لنا وله يا رب العالين ، وأفسح له فى قَبْره ، ونوِّر له فيه » .

وينتفع الميت بسداد الدين عنه.

وبإجراء الصدقات الجارية عليه ، وأفضلها صدقة الماء.

والوفاء بنذره.

وقضاء الحج والصوم عنه.

والاستغفار له كما سيأتى .

---

(١) رواه البخارى (٣٣٣٣) مسلم (٢٦٤٤).

(٢) رواه مسلم فى كتاب الوصية.

ما جاء أن الميت يعذب ببكاء أهله عليه وهم من شر الناس له

قال علماؤنا رحمة اللَّه عليهم : قال بعض العلماء أو أكثرهم : إنما يعذب الميت ببكاء الحى ، إذا كان من سنة الميت واختياره ، كما قال :

إِذَا مِتُّ فَانْعِينِى بِمَا أَنَا أَهْلُهُ وَشُقِّى عَلَيَّ الْجَيْبَ يَا ابْنَةَ مَعْبِدِ

وكذلك من أوصى به ، وقد روى ما يدل على أن الميت يصيبه عذاب بكاء الحى عليه ، وإن لم يكن من سنته ولا من اختياره ولا مما أوصى به.

وذكر أبو عمر بن عبد البر فى كتاب الاستيعاب من حديث أبى موسى الأشعرى عن النبى ﷺ قال : « الميتُ يُعَذَّبُ بِبُكَاء الحىِّ عَلَيه ، إِذَا قَالَتْ النَائحةُ : وَاعَضُدَاهُ ، وَانَاصِراهُ ، وَاكاسِياهُ . جُبِذَ الميِّتُ وَقِيلَ لَهُ : أَنْتَ عَضُدُهَا؟ أنت نَاصِرُها؟ أنت كَاسِيها؟ »[١].

وذكر البخارى من حديث النعمان بن بشير قال : أغمى على عبد اللَّه بن رواحة ، فجعلت أخته عمرة تبكى ، وتقول : واجبلاه ، وا كذا ، وا كذا . تعدد عليه ، فقال حين أفاق : ما قلت شيئًا إلا قيل لى : أأنت كذلك؟ فلما مات لم تبك عليه . وهذا أيضًا لم يكن من سنة عبد اللَّه بن رواحة ، ولا من اختياره ، ولا مما أوصى به ، فنصابه فى الدين أجل وأرفع من أن يأمر بهذا أو يوصى به[٢].

وروى أبو محمد عبد الغنى بن سعيد الحافظ من حديث منصور بن زاذان ، عن الحسن ، عن عمران بن حصين قال : قال رسول اللَّه ﷺ : « إِنّ اللَّهَ لَيُعذِب الميت بِصياحِ أَهْلِهِ عَلَيْهِ » . فقال رجل لعمران : يموت بخراسان ويناح عليه ها هنا؟ فقال عمرانَ : صدق رسول اللَّه وكذبت[٣].

وقال الحسن : إن من شر الناس للميت : أهله يبكون عليه ، ولا يقضون دينه.

---

(١) حسن: الترمذى (١٠٠٣) ابن ماجة (١٥٩٤)

(٢) صحيح: البخارى (٤٢٦٧، ٤٢٦٨).

(٣) صحيح: أحمد (٤/ ٤٣٧)، والنسائى (٤/ ١٥).

ما يقال عند وضع الميت فى قبره وفى اللحد وفى القبر

اللحد : هو أن يحفر للميت فى جانب القبر ، إن كانت الأرض صلبة ، وهو أفضل من الشق ، فإنه الذى اختاره اللّه لنبيه ﷺ.

وروى ابن ماجة عن ابن عباس قال : لما أرادوا أن يحفروا لرسول اللّه ﷺ بعثوا إلى أبى عبيدة ، وكان يضرح كضريح أهل مكة ، وبعثوا إلى أبى طلحة ، وكان هو الذى يحفر لأهل المدينة ، وكان يلحد ، فبعثوا إليهما رسولين ، قالوا : اللّهم خر لرسولك ، فوجدا أبا طلحة فجىء به ، ولم يوجد أبو عبيدة فلحد لرسول اللّه ﷺ[١] .

وأنشدوا :

ضَعُوا خَدِّى عَلَى لَحْدِى ضَعُوهُ ... وَمِنْ عَفْرَ التُّرَابِ فَوَسِّدُوهُ
وَشُقُّوا عَنْهُ أَكْفَانًا رِقَاقًا ... وَفِى الرَّمْسِ الْبَعِيدِ فَغَيِّبُوهُ
فَلَوْ أَبْصَرْتُمُوهُ إِذَا تَقَضَّتْ ... صَبِيحَةُ ثَالِثٍ أَنْكَرْتُمُوهُ
وَقَدْ سَالَتْ نَوَاظِرُ مُقْلَتَيْهِ ... عَلَى وَجَنَاتِهِ وَانْفَضَّ فُوهُ
وَنَادَاهُ الْبِلَا : هَذَا فُلَانٌ ... هَلُمُّوا فَانْظُروا هَلْ تَعْرِفُوهُ
حَبِيبُكُمُ وَجَارُكُمُ الْمُفَدَّى ... تَقَادَمَ عَهْدُهُ فَنَسِيتُمُوهُ

الوقوف عند القبر قليلًا بعد الدفن والدعاء بالتثبيت للميت

مسلم عن ابن شماسة المهرى ، قال : حضرنا عمرو بن العاص وهو فى سياقة الموت . الحديث . وفيه : فإذا دفنتمونى فشنوا علىَّ التراب شنًّا ثم أقيموا حول قبرى قدر ما ينحر جزور ، ويقسم لحمها ، حتى أستأنس بكم ، وأنظر ماذا أراجع به رسل ربى عز وجل؟[٢] .

---

(١) صحيح لغيره: ابن ماجه (١٦٢٨)، وفى الزوائد إسناده فيه الحسن بن عبد الله، وبقية رجاله ثقات.

(٢) صحيح : مسلم (١٢١) .

وقال : حدثنى يزيد بن أبى حبيب أن عبد الرحمن بن شماسة حدثه وقال فيه : وشدوا علىَّ إزارى فإنى مخاصم ، وشنوا علىّ التراب شنًا ، فإن جنبى الأيمن ليس أحق بالتراب من جنبى الأيسر ، ولا تجعلن فى قبرى خشبة ، ولا حجرة ، وإذا واريتمونى فاقعدوا عند قبرى قدر نحر جزور وتقطيعها ؛ أستأنس بكم[(١)].

وروى أبو داود عن عثمان بن عفان - رضى اللَّه عنه - قال : كان رسول اللَّه ﷺ إذا فرغ من دفن الميت وقف عليه ، وقال : « استغفروا لأخيكم واسألوا له بالتثبيت ؛ فإنه الآن يسأل »[(٢)]. وسبق من حديث عثمان رضى اللَّه عنه ، أنه كان ﷺ إذا دفن ميتًا وقف وسأل له التثبيت ، وكان يقول : « ما يستقبل المؤمن من هول الآخرة إلا والقبر أفظع منه »[(٣)].

قال الآجرى أبوبكر : فى كتاب النصحية : يستحب الوقوف بعد الدفن قليلاً ، والدعاء للميت مستقبل وجهه بالثبات ، فيقال : اللَّهم هذا عبدك وأنت أعلم به منا ، ولا نعلم منه إلا خيرًا ، وقد أجلسته لتسأله ، اللَّهم فثبته بالقول الثابت فى الآخرة كما ثبته فى الحياة الدنيا ، اللَّهم ارحمه وألحقه بنبيه محمد ﷺ ، ولا تضلنا بعده ، ولا تحرمنا أجره.

وقال أبو عبد اللَّه الترمذى : فالوقوف على القبر وسؤال التثبيت فى وقت دفنه مدد للميت بعد الصلاة ، لأن الصلاة بجماعة المؤمنين مدد ، كالعسكر له قد اجتمعوا بباب الملك يشفعون له ، والوقوف على القبر لسؤال التثبيت مدد للعسكر وتلك ساعة شغل للميت ؛ لأنه يستقبله هول المطلع وسؤال وفتنة فتانى القبر على ما سيأتى . والجزور بفتح الجيم من الإبل ، والجزرة من الضأن والمعز خاصة.

وقال القرطبى - رحمه اللَّه - :

قول عمرو بن العاص رضى اللَّه عنه : فإذا أنا مت فلا تصحبنى نائحة ، ولا نار ، توصية منه باجتناب هذين الأمرين ؛ لأنهما من عمل الجاهلية ولنهى النبى ﷺ .

---

(١) صحيح : ابن المبارك (٤٤٠) .

(٢) حسن : أبو داود (٣٢٢١) .

(٣) سبق تخريجه .

وقال العلماء : ومن ذلك الضجيج بذكر اللَّه سبحانه وتعالى أو بغير ذلك حول الجنائز ، والبناء على المقابر ، والاجتماع فى الجبانات والمساجد للقراءة ، وغيرها لأجل الموتى ، وكذلك الاجتماع إلى أهل الميت ، وصنعة الطعام ، والمبيت عندهم ، كل ذلك من أمر الجاهلية ،ونحو منه الطعام الذى يصنعه أهل الميت اليوم فى يوم السابع ، فيجتمع له الناس يريدون بذلك القربة والترحم ، عليه وهذا محدث لم يكن فيما تقدم ، ولا هو مما يحمده العلماء.

قالوا : وليس ينبغى للمسلمين أن يقتدوا بأهل الكفر ، وينهى كل إنسان أهله عن الحضور لمثل هذا وشبهه من لطم الخدود ، ونشر الشعور ، وشق الجيوب ، واستماع النوح ، وكذلك الطعام الذى يصنعه أهل الميت - كما ذكرنا - فيجتمع عليه النساء والرجال من فعل قوم لا خلاق لهم[١].

وقال أحمد بن حنبل : هو من فعل الجاهلية . قيل : أليس قد قال النبى ﷺ : « اصنعوا لآل جعفر طعامًا »[٢] . فقال : لم يكونوا هم اتخذوا ، وإنما اتخذ لهم ، فهذا كله واجب على الرجل أن يمنع أهله منه ، ولا يرخص لهم ، فمن أباح ذلك لأهله فقد عصى اللَّه عز وجل ، وأعانهم على الإثم والعدوان ، واللَّه تعالى يقول : ﴿قُوٓاْ أَنفُسَكُمۡ وَأَهۡلِيكُمۡ نَارٗا﴾ [التحريم : ٦]. قال العلماء : معناه أدبوهم وعلموهم.

وعن جرير بن عبد اللَّه البجلى قال : كنا نعد الاجتماع إلى أهل الميت وصنعة الطعام من النياحة[٣]. قال القرطبى : وهذه الأمور كلها قد صارت عند الناس الآن سنة وتركها بدعة ، فانقلب الحال وتغيرت الأحوال ، قال ابن عباس - رضى اللَّه عنه - : لا يأتى على الناس عام إلا أماتوا فيه سنة ، وأحيوا فيه بدعة ، حتى تموت السنة وتحيا البدع ، ولن يعمل بالسنن ، وينكر البدع إلا من هون اللَّه عليه إسخاط الناس لمخالفتهم فيما أرادوا ، ونهيهم عما اعتادوا ،ومن يسر لذلك أحسن اللَّه تعويضه . وقال رسول اللَّه ﷺ : « إِنَّكَ لَنْ تَدَع شَيْئًا إِلاّ عَوَّضكَ اللَّهُ خيرًا منه »[٤].

---

(١) هذه هى نفس البدع الموجودة اليوم وتُسمى [السُّبوع - الأربعين].

(٢) صحيح: أحمد (١/ ٢٠٥)، والحاكم (١/ ٣٧٢)، وصححه الذهبى ووافقه.

(٣) صحيح: ابن ماجه (١٦١٢)، وفى الزوائد: إسناده صحيح.

(٤) صحيح: أحمد (٥/ ٧٨).

ومن هذا الباب ما ثبت فى الصحيحين عن عبد اللّه قال : قال رسول اللّه ﷺ : «لَيْسَ مِنَّا مَنْ لَطَمَ الخُدُودَ وَشَقَّ الجُيوبَ ، وَدَعَا بِدَعْوَى الجَاهِلِيةِ»(١).

وعن أبى بردة بن أبى موسى قال : وجع أبو موسى وجعًا فغشى عليه ورأسه فى حجر امرأة من أهله ، فصاحت امرأة من أهله ، فلم يستطع أن يرد عليها شيئًا ، فلما أفاق قال : إنى برىء ممن برئ منه رسول اللّه ﷺ ؛ فإن رسول اللّه ﷺ برئ من الصالقة والحالقة والشاقة(٢).

وروى ابن ماجة عن أبى أمامة : أن رسول اللّه ﷺ : لَعَن الخَامِشَةَ وَجْهَهَا والشَّاقَةَ جَيْبَها ، والدَّاعِيةَ بِالوَيْلِ والثُّبُورِ(٣) .

قال أبو سعيد البلخى : من أصيب بمصيبة فمزق ثوبًا أو ضرب صدرًا ، فكأنما أخذ رمحًا يريد أن يقاتل به ربه عز وجل.

رحمة اللّه بعبده إذا أدخل فى قبره

قال عطاء الخراسانى : أرحم ما يكون الرب بعبده إذا دخل فى قبره ، وتفرق الناس عنه وأهله . وروى عن ابن عباس مرفوعا ، وقال أبو غالب : كنت أختلف إلى أبى أمامة الباهلى بالشام ، فدخلت يومًا على فتى مريض من جريان أبى أمامة وعنده عم له وهو يقول : يا عدو اللّه ، ألم آمرك؟ ألم أنهك؟ فقال الفتى : يا عماه لو أن اللّه دفعنى إلى والدتى ، كيف كانت صانعة بى؟ قال : تدخلك الجنة . قال : اللّه أرحم بى من والدتى . وقبض الفتى ، فدخلت القبر مع عمه ، فلما أن سواه ، صاح وفزع ، قلت له : مالك؟ قال : فسح له فى قبره ، وملئ نورًا.

وكان أبو سليمان الدارانى يقول فى دعائه : يا من لا يأنس بشىء أبقاه ، ولا يستوحش من شىء أفناه ، ويا أنيس كل غريب ، ارحم فى القبر غربتى ، ويا ثانى كل وحيد ، آنس فى القبر وحدتى.

---

(١) صحيح: متفق عليه : البخارى (١٢٩٤)، مسلم (١٠٣).

(٢) صحيح: متفق عليه : البخارى (١٢٩٦)، ومسلم (١٠٤).

(٣) صحيح: ابن ماجه (١٥٨٥)، وفى الزوائد: صحيح.

- أهوال القبور -

- هول المطلع
- القبر أول منازل الآخرة.
- كلام القبر كل يوم ، وكلامه للعبد إذا وضع فيه.
- ضغط القبر على الرجل وإن كان صالحًا.
- الحكمة من ضغطة القبر.
- عذاب القبر تسمعه البهائم
- الحكمة من إخفاء عذاب القبر علينا.
- سؤال الملكين فى القبر.
- أسباب عذاب القبر وصورٌ منه.
- الميت وعرض مقعده عليه بالغداة والعشى.
- سعة القبور على المؤمنين
- مع أى الفريقين تريد أن تكون؟
- بُشْرى المؤمن فى قبره.
- عذاب القبر للروح والبدن معًا

أهوال القبور

هول المطلع

من حديث جابر بن عبد اللَّه قال : قال رسول اللَّه ﷺ : « لا تَمَنوا الموْتَ ، فَإِنَّ هَوْلَ المَطْلَع شَدِيدٌ »(١) . ولما طعن عمر بن الخطاب رضى اللَّه عنه قال له رجل : إنى لأرجو أن لا تمس جلدك النار . فنظر إليه ، ثم قال : إن من غررتموه لمغرور ، واللَّه لو أن لى ما على الأرض لافتديت به من هول المطلع.

وقال أبو الدرداء رضى اللَّه عنه : أضحكنى ثلاث وأبكانى ثلاث ، أضحكنى : مؤمل دنيا والموت يطلبه وغافل ليس بمغفول عنه ، وضاحك بملء فيه لا يدرى أأرضى اللَّه أم أسخطه؟ وأبكانى : فراق الأحبة محمد وحزبه ، وأحزننى هول المطلع عند غمرات الموت ، والوقوف بين يدى اللَّه يوم تبدو السريرة علانية ثم لا يدرى إلى الجنة أو إلى النار. أخرجه ابن المبارك.

قال : وأخبرنا محمد ، بلغ به أنس بن مالك قال : ألا أحدثكم بيومين وليلتين لم تسمع الخلائق بمثلهن : أول يوم يجيئك البشير من اللَّه تعالى ، إما برضاه وإما بسخطه ويوم تعرض فيه على ربك آخذًا كتابك ، إما بيمينك ، وإما بشمالك ، وليلة تستأنف فيها المبيت فى القبور لم تبت فيها قط ، وليلة تمخض صبيحتها يوم القيامة.

القبر أول منازل الآخرة ، وفى البكاء عنده ، وفى حكمه والاستعداد له

ابن ماجة عن هانئ بن عثمان قال : كان عثمان رضى اللَّه عنه ، إذا وقف على قبر بكى حتى يبل لحيته ، فقيل له : تذكر الجنة والنار ولا تبكى ، وتبكى من هذا ؟ قال : إن رسول اللَّه ﷺ قال : « إن القبر أول منازل الآخرة ، فإن نجا منه أحد فما بعده أيسر منه ، وإن لم ينج منه فما بعده أشد منه »(٢) .

---

(١) صحيح: أحمد (٣/ ٣٣٢) فى المسند ، وحسنه الهيثمى (٣/ ٣٣٢) فى المجمع.

(٢) حسن: ابن ماجه (٤٢٦٧).

قال : قال رسول اللَّه ﷺ : «ما رأيت منظرا قط إلا والقبر أفظع منه»[١] .

وزاد رزين قال : وسمعت عثمان ينشد على قبر شعرًا :

فَإِنْ تَنْجُ مِنها تَنْجُ مِنْ ذِى عَظِيمَةٍ وَإِلَّا فَإِنِّى لا أخالُكَ ناجِيَا

* * *

كلام القبر كل يوم وكلامه للعبد إذا وضع فيه

خرج هناد بن السرى قال : عن عبد اللَّه بن عبيد بن عمير قال : يجعل اللَّه للقبر لسانًا ينطق به فيقول : ابنَ آدَمَ ، كيْفَ نَسِيتَنِى؟ أَمَا عَلِمْتَ أَنَّى بَيْتُ الدُّودِ ، وَبَيْتُ الوَّحدةِ ، وَبَيْتُ الوَحشة[٢] .

وعنه أيضًا قال : إن القبر ليبكى ، ويقول فى بكائه : أنا بيت الوحشة ، وأنا بيت الوحدة ، وأنا بيت الدود.

وذكر ابن عبد البر بسنده عن عبد اللَّه بن عبيد بن عمير قال : جلسنا إلى عبد اللَّه بن عمرو بن العاص فسمعته يقول : إنَّ القبر يكلم العبد إذا وضع فيه ، فيقول : يا ابن أدم ما غرك بى؟! ألم تعلم أنى بيت الوحدة؟ ألم تعلم أنى بيت الظلمة؟! ألم تعلم أنى بيت الحق؟ يا ابن آدم ما غرك بى؟ لقد كنت تمشى حولى فدادًا . فقيل : وما الفداد؟ : قال كبعض المشية.

فقيل : فإن كان مؤمنًا فماذا له؟ قال : يوسع له فى قبره ، ويجعل منزله أخضر ، ويعرج بروحه إلى السماء[٣] .

وعن عبد اللَّه بن المبارك عن عبد اللَّه بن عبيد بن عمير يقول : بلغنى أن الميت يقعد فى حفرته ، وهو يسمع وخط مشيعيه ، ولا يكلمه شىء أول من خفرته فتقول : ويحك يا ابن آدم ، أليس قد حذرتنى ، وحذرت ضيقى ، وظلماتى

---

(١) حسن: الترمذى (٢٣٠٨) وقال: حديث حسن.

(٢) خبر صحيح: ابن أبى شيبة (١٣/ ٤٤٣)، أبو نعيم (٣/ ٢٧١).

(٣) خبر صحيح: ابن عبد البر (١٨/ ١٤٥)، فى التمهيد، ابن أبى شيبة (١/ ١٨٨).

ونتنى ، وهولى ، هذا ما أعددت لك ، فما أعددت لى[(١)] ؟.

الوخط والوخد : سرعة السير فى المشى.

وقال سفيان الثورى : من أكثر من ذكر القبر وجده روضة من رياض الجنة ، ومن غفل عن ذكره ، وجده حفرة من حفر النار.

وقيل لبعض الزهاد : ما أبلغ العظات؟ قال : النظر إلى مَحِلَّةِ الأموات.

ضغط القبر على صاحبه وإن كان صالحًا

النسائى عن عبد اللَّه بن عمر عن رسول اللَّه ﷺ قال : «هَذَا الذَّى تَحَركَ لَهُ عَرْشُ الرَّحْمَنِ ، وَفُتِحَتْ لَهُ أَبْوَابُ السَّماءِ ، وَشَهِدَهُ سَبْعُونَ أَلْفًا مِنَ المَلائِكَةِ ، لَقَدْ ضُمَّ ضَمْةً ثُمَّ فُرِّجَ عَنْهُ»[(٢)] . قال النسائى : يعنى [سعد بن معاذ].

ومن حديث شعبة بن الحجاج بإسناده إلى أم المؤمنين عائشة - رضى اللَّه عنها - قالت : قال رسول اللَّه ﷺ : «إنّ للقَبرِ ضَغْطَةً لَوْ نَجا مِنْهَا أَحَدٌ لَنَجا مِنْهَا سَعْدُ ابْنُ مُعَاذ»[(٣)].

وذكر هناد بن السرى ، حدثنا محمد بن فضيل عن أبيه عن ابن أبى مليكة قال : ما أُجير من ضغطة القبر أحد ، ولا سعد بن معاذ ، الذى منديل من مناديله خير من الدنيا وما فيها ، وحدثنا عبدة عن عبد اللَّه بن عمر عن نافع قال : ولقد بلغنى أنه شهد جنازة سعد بن معاذ سبعون ألف ملك ، لم ينزلوا إلى الأرض قط ولقد بلغنى أن رسول اللَّه ﷺ قال : «لقد ضم صاحبكم فى القبر ضمة».

الحكمة من ضغطة القبر

روى ابن أبى الدنيا عن محمد التيمى قال : كان يقال إن الأرض أمهم ، ومنها خُلقوا وغابوا عنها الغيبة الطويلة ،فلما رُدُّوا إليها ضمتهم ضمة الوالدة التى غاب

---

(١) خبر صحيح: ابن المبارك (١٦٣).

(٢) صحيح: النسائى (٤/ ١٠٠، ١٠١)، والحاكم (٣/ ٢٠٦)، وصححه الذهبى ووافقه.

(٣) صحيح: أحمد (٦/ ٥٥)، والبيهقى (١١٩)، والطحاوى (١/ ٢٠٧).

عنها ولدها ثم قدم عليها ، فمن كان للَّه مطيعا ضمته برأفة ورفق ، ومن كان عاصيًا ضمته بعنف سخطًا منها عليه .

وقال الحكيم الترمذى : سبب هذه الضغطة أنه ما من أحد إلا وقد أَلَمَّ بذنب فتدركه هذه الضغطة جزاءً له ، ثم تدركه الرحمة .

عذاب القبر تسمعه البهائمُ

أخرج مسلم عن عائشة رضى اللَّه عنها أنها قالت : دخلت علىَّ عجوزان من عجائز يهود المدينة ، فقالتا : إن أهل القبور يعذبون فى قبورهم . قالت : فكذبتهما ، ولم أنعم أصدقهما ، فخرجتا ، ودخل على رسول اللَّه ﷺ فقلت : يا رسول اللَّه إن عجوزين من عجائز يهود المدينة قالتا : إن أهل القبور يعذبون فى قبورهم . قال النبى ﷺ : « صدقتا إنهم يعذبون عذابًا تسمعه البهائم » . قالت : فما رأيته بعد فى صلاة إلا يتعوذ من عذاب القبر . اخرجه البخارى أيضًا ، وقال : « تسمعه البهائم كلها »[١] .

وخرج أيضًا عن زيد بن ثابت قال : بينما النبى ﷺ فى حائط لبنى النجار على بغلة له ونحن معه إذ حادت به فكادت تلقيه ، وإذا أقبر ستة أو خمسة أو أربعة - كذا كان الحريرى يقول - فقال : « من يعرف أصحاب هذه الأقبر »؟ فقال رجل : أنا . قال : « فمتى مات هؤلاء » ؟ قال : ماتوا فى الإشراك . فقال : « إن هذه الأمة تبتلى فى قبورها ، فلولا أن لا تدافنوا لدعوت اللَّه أن يسمعكم من عذاب القبر الذى أسمع »[٢] .

الحكمة من إخفاء عذاب القبر علينا :

قال علماؤنا : وإنما حادت به البغلة لما سمعت من صوت المعذبين وإنما لم يسمعه من يعقل من الجن والإنس لقوله عليه الصلاة والسلام : « لولا أن لا تدافنوا » . الحديث . فكتمه اللَّه سبحانه عنا حتى نتدافن بحكمته الإلهية ولطائفه

(١) هكذا رواه بلاغا والصحيح هو السابق (نقلًا عن التذكرة).

(٢) صحيح متفق عليه: البخارى (٦٣٦٦)، ومسلم (٥٨٦).

الربانية ؛ لغلبة الخوف عند سماعه ، فلا نقدر على القرب من القبر للدفن ، أو يهلك الحى عند سماعه ؛ إذ لا يطاق سماع شيء من عذاب اللّه فى هذه الدار ، لضعف هذه القوى ، ألا ترى أنه إذا سمع الناس صعقة الرعد القاصف أو الزلازل الهائلة هلك كثير من الناس ، وأين صعقة الرعد من صيحة الذى تضربه الملائكة بمطارق الحديد التى يسمعها كل من يليه؟ وقد قال ﷺ فى الجنازة : « ولو سمعها إنسان لصعق »[1] .

قال القرطبى : قلت : هذا وهو على رؤوس الرجال من غير ضرب ولا هوان ، فكيف إذا حل به الخزى والنكال واشتد عليه العذاب والوبال ؟ فنسأل اللّه معافاته ومغفرته .

حكاية : قال القرطبى - رحمه اللّه - : قال أبو محمد عبد الحق : حدثنى الفقيه أبو الحكم بن برجان وكان من أهل العلم والعمل - رحمه اللّه - أنهم دفنوا ميتًا بقريتهم من شرق إشبيلية ، فلما فرغوا من دفنه قعدوا ناحية يتحدثون ودابة ترعى قريبًا منهم ، فإذا الدابة قد أقبلت مسرعة إلى القبر فجعلت أذنها عليه كأنها تسمع . ثم ولت فارة كذلك فعلت مرة أخرى . قال أبو الحكم - رحمه اللّه - : فذكرت عذاب القبر ، وقول النبى ﷺ : « إنهم ليعذبون عذابًا تسمعه البهائم »[2] . واللّه عز وجل أعلم بما كان من أمر ذلك الميت ، ذكر هذه الحكاية لما قرأ القارئ هذا الحديث فى عذاب القبر ونحن إذ ذاك نسمع عليه كتاب مسلم بن الحجاج رضى اللّه عنه .

وقال ابن قيم الجوزية - رحمه اللّه -[3] :

قالوا : ولهذا السبب يذهب الناس بدوابهم إذا مَغَلَت[4] إلى قبور اليهود والنصارى والمنافقين كالإسماعيلية والنصيرية والقرامطة من بنى عبيد وغيرهم

---

(١) صحيح: مسلم (٢٨٦٧).

(٢) صحيح: البخارى (١٣١٦).

(٣) الروح ص ٧٢ .

(٤) مغلت: أصابها المغص حين أكلت العلف بالتراب.

الذين بأرض مصر والشام ، فإن أصحاب الخيل يقصدون قبورهم لذلك ، كما يقصدون قبور اليهود والنصارى ؛ قالوا : فإذا سمعت الخيل عذاب القبر أحدث لها ذلك فزعًا وحرارةً تذهب بالمغل . (ا.هـ) .

وبنو عبيد هم من يسمونهم كذبًا بـ [الفاطميين] .

ثم قال ابن قيم الجوزية - رحمه اللَّه - :

وكيف يستنكر من يعرف اللَّه سبحانه ويقر بقدرته أن يُحْدِث حوادث يصرف عنها أبصار بعض خلقه حكمةً منه ورحمةً بهم ؛ لأنهم لا يطيقون رؤيته أو سمعاها ، والعبد أضعف بصرًا وسمعًا من أن يَثْبُت لمشاهدة عذاب القبر ، وكثيرًا ممن أشهده اللَّه ذلك صُعِقَ وغُشى عليه ، ولم ينتفع بالعيش زمنًا ، وبعضهم كشف قناع قلبه فمات ، فكيف يُنْكَر فى الحكمة الإلهية إسبال غطاء يحول بين المُكَلَّفين وبين مشاهدة ذلك حتى إذا كشف الغطاء رأوه وشاهدوه عِيانًا . (ا.هـ)

وقد سبق أن وضحت بعض هذه الأمور فى الفصل السابق فارجع إليها - رحمك اللَّه - .

سؤال الملكين فى القبر

البخارى عن أنس بن مالك قال : قال رسول اللَّه ﷺ : « إن العبد إذا وضع فى قبره ، وتولى عنه أصحابه ، إنه ليسمع قرع نعلهم ، أتاه ملكان فيقعدانه فيقولان له : ما كنت تقول فى هذا الرجل محمد ﷺ ؟ فأما المؤمن فيقول : أشهد أنه عبد اللَّه ورسوله . فيقال له : انظر إلى مقعدك من النار وقد أبدلك اللَّه تعالى به مقعدًا من الجنة فيراهما جميعًا » .

قال قتادة : [وذكر أن يفسح له فى قبره أربعون ذراعًا] .

قال مسلم : سبعون ذراعًا ، ويملأ عليه خضرًا إلى يوم يبعثون . ثم رجع إلى حديث أنس قال : « أما المنافق والكافر فيقال له : ما كنت تقول فى هذا الرجل؟ فيقول : لا أدرى ، كن أقول ما يقول الناس . فيقال : لا دريت ، ولا تليت ، ويضرب

بمطارق من حديد ضربة بين أذنيه فيصيح صيحة يسمعها من يليه إلا الثقلين »[١] .

قال النحويون فى معنى قوله : « ولا تليت » . الأصل فى هذه الكلمة : الواو ، أى ولا تلوت ، إلا أنها قلبت ياء ليتبع بها دريت ، وقد جاء من حديث البراء : « لا دريت ولا تلوت » . على ما رواه الإمام أحمد بن حنبل ، أى : لم تدر ولم تتل القرآن ، فلم تنتفع بدرايتك ولا بتلاوتك.

ابن ماجه عن أبى هريرة عن النبى ﷺ قال : « إن الميت يصير إلى القبر فيجلس الرجل الصالح فى قبره غير فزع ولا مشغوف ، ثم يقال له : فيم كنت؟ فيقول : كنت فى الإسلام . فيقال : ما هذا الرجل؟ فيقول : محمد رسول اللَّه ، جاءنا بالبينات من عند اللَّه فصدقناه . فيقال له : هل رأيت اللَّه؟ فينظر فيقول : لا ، وما ينبغى لأحد أن يرى اللَّه؟ ، فيفرج له فرجة قبل النار فينظر إليها يحطم بعضها بعضًا ، فيقال له : انظر إلى ما وقاك اللَّه : ثم يفرج له فرجة قبل الجنة فينظر إلى زهرتها وما فيها فيقال : هذا مقعدك . ويقال له : على اليقين كنت ، وعليه مت ، وعليه تبعث إن شاء اللَّه تعالى . ويجلس الرجل السوء فى قبره فزعًا مرعوبًا فيقال له : فيم كنت؟ فيقول : لا أدرى . فيقال له : ما هذا الرجل؟ فيقول : سمعت الناس يقولون قولا فقلته . فيفرج له فرجة قبل الجنة فينظر إلى زهرتها وما فيها ، فيقال له : انظر إلى ما صرفه اللَّه عنك ، ثم يفرج له فرجة قبل النار فينظر إليها يحطم بعضها بعضًا ، فيقال : هذا مقعدك ، على الشك كنت ، وعليه مت ، وعليه تبعث إن شاء اللَّه »[٢] .

وخرج أبو داود أيضًا عن البراء بن عازب قال : خرجنا مع رسول اللَّه ﷺ فى جنازة رجل من الأنصار ، فانتهينا إلى القبر ولما يلحد ، فلجس رسول اللَّه ﷺ وجلسنا حوله كأنما على رؤوسنا الطير ، وفى يده عود ينكت به فى الأرض ، فرفع رأسه فقال : « استعيذوا باللَّه من عذاب القبر » . مرتين أو ثلاثًا . قال : « وإنه

---

(١) صحيح: متفق عليه البخارى (١٣٧٤)، مسلم (٢٨٧٠) .

(٢) صحيح : ابن ماجه (٤٢، ٦٨) ، وفى الزوائد : صحيح .

ليسمع خفق نعالهم إذا ولوا مدبرين حين يقال له : من ربك؟ فيقول : ربى اللّه. فيقولان : ما دينك؟ فيقول : دينى الإسلام . فيقولان : ما هذا الرجل الذى بعث فيكم؟ » قال : « فيقول : هو رسول اللّه . فيقولان له : وما يدريك؟ قال : قرأت كتاب اللّه فآمنت وصدقت ». قال : « فينادى مناد من السماء : أن صدق عبدى فأفرشوه من الجنة ، وألبسوه من الجنة ، وافتحوا له بابًا إلى الجنة ». قال : « فيأتيه من روحها وطيبها ». قال : « يفسح له مد بصره ».

قال : « وإن الكافر » . فذكر موته ، قال : « وتعاد روحه فى جسده ويأتيه ملكان فيجلسانه ، فيقولان له : من ربك؟ فيقول : هاه ، هاه لا أدرى . فيقولان : ما هذا الرسول الذى بعث فيكم؟ فيقول : هاه هاه لا أدرى » . قال : « فينادى مناد أن كذب عبدى فأفرشوه من النار ، وألبسوه من النار ، وافتحوا له بابًا إلى النار ») . قال : « فيأتيه من حرها وسمومها » . قال : « ويضيق عليه قبره حتى تختلف أضلاعه » . زاد فى حديث جرير قال : « ثم يقيض له أعمى أبكم معه مرزبة من حديد لو ضرب بها جبل لصار ترابًا » . قال : « فيضربه بها ضربة يسمعها ما بين المشرق والمغرب إلا الثقلين فيصير ترابًا ثم تعاد فيه الروح »[(١)] .

فائدة : قال القرطبى - رحمه اللّه - :

قوله ﷺ : « أَتاكَ فَتَّانَا القَبرِ ؛ مُنْكَرٌ وَنَكِيرٌ » .

إنما سميا فتانى القبر لأن فى سؤالهما انتهارًا ، وفى خلقهما صعوبة ، ألا ترى أنهما سميا : منكرًا ونكيرًا؟ فإنما سُميا بذلك ؛ لأن خلقهما لا يشبه خلق الآدميين ، ولا خلق الملائكة ، ولا خلق الطير ، ولا خلق البهائم ، ولا خلق الهوام ، بل هما خلق بديع وليس فى خلقتهما أنس للناظرين إليهما ، جعلهما اللّه تكرمة للمؤمن يثبته وينصره ، وهتكًا لستر المنافق فى البرزخ من قبل أن يبعث حتى يحل عليه العذاب . قاله أبو عبد اللّه الترمذى .

(١) سبق تخريج الحديث ضمن حديث البراء بن عازب رضى الله عنه .

أسباب عذاب القبر وصور منه

وأسباب عذاب القبر كثيرة ، ودلَّت عليها الأحاديث ، ونذكر السبب مشفوعًا بالحديث :

(١) البول :

وفى حديث أبى هريرة رضى اللَّه عنه أنه ﷺ قال : «أكثر عذاب القبر من البول»[١] .

(٢) البول والنميمة :

فروى البخارى ومسلم عن ابن عباس ، قال : مر النبى ﷺ على قبرين فقال : «إنهما ليعذبان وما يعذبان فى كبير ، أما أحدهما فكان يمشى بالنميمة ، وأما الآخر فكان لا يستنزه من بوله»[٢] . فدعا بعسيب رطب فشقه باثنين ثم غرس على هذا واحدًا ، وعلى هذا واحدًا ، ثم قال : «لعله يخفف عنهما ما لم ييبسا» . رواهما مسلم . وفى كتاب أبى بداود : «وكان لا يستنثر من بوله»[٣] . وفى حديث هناد بن السرى : «لا يستبرئ من البول» . من الاستبراء - وقال البخارى : «وما يعذبان فى كبير وإنه لكبير» .

(٣) السرقة والغلول :

عن أبى هريرة[٤] - رضى اللَّه عنه - قال : أفتتحنا خيبر ولم نغنم ذهبًا ولا فضة ، إنما غنمنا البقر والإبل والمتاع والحوائط ، ثم انصرفنا مع رسول اللَّه ﷺ إلى وادى القرى ، ومعه عبد له - يقال مِدْعَم - أهداه له أحد بنى الضَّباب ، فبينما

---

(١) صحيح: الحاكم (١/ ١٨٣) فى المستدرك وصححه ووافقه الذهبى، وابن أبى شيبة (١/ ١٢٢) فى مصنفه.

(٢) رواه البخارى (٢١٨) مسلم (٢٩٢).

(٣) صحيح: أبو داود (٢٠-٢١) فى الطهارة.

(٤) رواه البخارى (٤٢٣٤) مسلم (ح١٨٣) فى الإيمان.

هو يَحُط رَحْلَ رسول اللّه ﷺ إذا جاءه سهم عائر[١] حتى أصاب ذلك العبد ، قال الناس : هنيئًا له الشهادة ، فقال رسول اللّه - ﷺ - : « بلى والذى نفسى بيده إن الشملة[٢] التى أصابها يوم خيبر من المغانم لم تُصِبْهَا المقاسم لتشتعل عليه نارًا » .

(٤) - (٧) الكذب ، والزنا ، والرياء ، وترك القرآن :

عن سمرة بن جندب قال : كان النبى ﷺ إذا صلى صلاة أقبل علينا بوجهه ، فقال : « من رأى منكم الليلة رؤيا ؟ » - قال : فإن رأى أحد رؤيا قصها ، فيقول ما شاء اللّه ، فسألنا يومًا فقال : « هل رأى أحد منكم رؤيا؟ » قلنا : لا . قال : « لكنى رأيت الليلة رجلين أتيانى فأخذا بيدى فأخرجانى إلى الأرض المقدسة ، فإذا رجل جالس ، ورجل قائم بيده كلوب[٣] من حديد يدخله فى شدقه[٤] حتى يبلغ قفاه ، ثم يفعل بشدقه الآخر مثل ذلك ويلتئم شدقه هذا ، فيعود فيصنع مثله ، قلت : ما هذا ؟ قالا : انطلق . فانطلقنا حتى أتينا على رجل مضطجع على قفاه ورجل قائم على رأسه[٥] بفهر أو صخرة ، فيشدخ[٦] بها رأسه ، فإذا ضربه تدهده[٧] الحجر فانطلق ليأخذه فما يرجع إلى هذا حتى يلتئم رأسه وعاد رأسه كما هو فعاد إليه فضربه. قلت : ما هذا ؟ قالا : انطلق فانطلقنا إلى ثقب مثل التنور[٨] أعلاه ضيق وأسلفه واسع يتوقد تحته نار ، فإذا اقترب ارتفعوا حتى كادوا أن يخرجوا ، فإذا خمدت رجعوا فيها ، وفيها رجال ونساء عراة ، فقلت : ما هذا؟ قالا : انطلق ، فانطلقنا حتى أتينا على نهر من دم فيه رجل قائم ، وعلى شط النهر رجل

---

(١) أى سهم طائش لا يدرى مَنْ رمى به.

(٢) شملة: كساء من صوف يتغطى به.

(٣) كلوب: مفرد كلاليب وهى الحديدة المعقوفة .

(٤) شدقة: الشدق: جانب الفم.

(٥) فهر: حجر كالكف.

(٦) يشِدخ: يكسر.

(٧) تدهده: تدحرج.

(٨) التنور: الفرن.

بين يديه حجارة ، فأقبل الرجل الذى فى النهر فإذا أراد أن يخرج رمى الرجل بحجر فى فيه فرده حيث كان ، فجعل كلما جاء ليخرج ، رمى فى فيه بحجر فيرجع كما كان ، فقلت : ما هذا ؟ قالا : انطلق . فانطلقنا ، حتى انتهينا إلى روضة خضراء فيها شجرة عظيمة ، وفى أصلها شيخ وصبيان ، وإذا رجل قريب من الشجرة بين يديه نار يوقدها ، فصعدا بى الشجرة وأدخلانى دارًا لم أر قط أحسن منها ، فيها شيوخ ، وشباب ، ونساء ، وصبيان ، ثم أخرجانى منها فصعدا بى الشجرة ، فأدخلانى دارًا هى أحسن وأفضل ، فيها شيوخ وشباب ، قلت : طوفتمانى الليلة فأخبرانى عما رأيت . قالا : نعم ، الذى رأيت يشق شدقه : فكذاب يحدث بالكذب ، فتحمل عنه حتى تبلغ الآفاق ، فيصنع به إلى يوم القيامة ، والذى رأيته يشدخ رأسه ، فرجل علمه اللَّه القرآن فنام عنه بالليل ، ولم يعمل فيه بالنهار يفعل به إلى يوم القيامة ، وأما الذين رأيتهم فى الثقب فهم الزناة ، والذى رأيته فى النهر آكل الربا ، والشيخ فى أصل الشجرة : إبراهيم ، والصبيان حوله : فأولاد الناس . والذى يوقد النار : مالك خازن النار ، والدار الأولى : دار عامة المؤمنين ، وأما هذه الدار : فدار الشهداء ، وأنا جبريل وهذا ميكائيل ، فارفع رأسك فرفعت رأسى فإذا فوقى مثل السحاب ، قالا : ذلك منزلك . فقلت : دعانى أدخل منزلى . قال : إنه بقى لك عمر ، ولم تستكمله فلو استكملته أيتت منزلك »[(١)] .

قال القرطبى - رحمه اللَّه - :

قال علماؤنا رحمة اللَّه عليهم : لا أبين فى أحوال المعذبين فى قبروهم من حديث البخارى ، وإن كان منامًا فمنامات الأنبياء عليهم السلام وحى ، بدليل قول إبراهيم عليه السلام : ﴿يَٰبُنَيَّ إِنِّيٓ أَرَىٰ فِي ٱلۡمَنَامِ أَنِّيٓ أَذۡبَحُكَ فَٱنظُرۡ مَاذَا تَرَىٰۚ﴾ [الصافات : ١٠٢]. فأجابه ابنه : ﴿ يَٰٓأَبَتِ ٱفۡعَلۡ مَا تُؤۡمَرُۖ﴾ [الصافات : ١٠٢].

(٩) الوقوع فى الناس وأكل لحومهم :

وذكر أبو داود عن أنس بن مالك قال : قال رسول اللَّه ﷺ : « لما عُرج بى

---

(١) رواه البخارى (٧٠٤٧) فى التعبير، مسلم مختصرًا (٢٢٧٥/ ٢٣) فى الرؤيا.

مررت بقوم لهم أظفار من نحاس يخمشون وجوههم وصدورهم. فقلت: من هؤلاء يا جبريل؟ قال: الذين يأكلون لحوم الناس ويقعون فى أعراضهم »[١].

(١٠) صور من عذاب الكفار فى البرزخ:

(١) حيات وتنين:

عن عائشة رضى اللَّه عنها أن رسول اللَّه ﷺ قال:

«يُرسل على الكافر حيّتان: واحدةٌ من قِبَل رأسه والآخرى من قِبلَ رجليه يقرصانه قرصًا، كُلَّما تزعتا عادتا إلى يوم القيامة»[٢].

وفى حديث أبى سعيد الخدرى قال: قال رسول اللَّه - ﷺ -: «يُسَلَّط على الكفار فى قبره تسعة وتسعون تنينًا[٣] تنهشه وتلدغه حتى تقوم الساعة، فلو أن تنينًا منها نفخت فى الأرض ما أنبتت خضرًا»[٤].

وفى حديث أبى هريرة عن النبى - ﷺ - أنه قال: «يسلط على الكافر تسعة وتسعون تنينًا، أتدرون ما التنين؟ قال: سبعون حية لكل حية سبع رؤوس يلسعونه ويخدشونه إلى يوم القيامة»[٥].

مقامع من حديد:

وفى حديث أنس عن النبى - ﷺ - فى شأن الكافر والمنافق قال: «ثم يُضرب بمطراق من حديد بين أُذنيه فيصيح صيحة فيسمعها من عليها غير الثقلين»[٥].

وفى رواية لحديث البراء بن عازب المشهور عن النبى - ﷺ - «ثم يقيض له أعمى أصم أبكم فى يده مرزبة لو ضُرب بها جبل كان ترابًا»[٥].

وقد سبق عرض بعض الأحاديث فى أول الكتاب فارجع إليها.

---

(١) صحيح: أبو داود (٤٨٧٨) وأحمد (٣/ ٢٢٤).
(٢) حسن: أحمد (٦/ ١٥٢) وحسنه الهيثمى (٣/ ٥٥) فى المجمع.
(٣) تنين: حية عظيمة.
(٤) صحيح مرقوفًا: انظر المجمع (٣/ ٥٥).
(٥) صحاح وسبق تخريجهم جميعًا

الميت وعرض مقعده عليه بالغداة والعشى

روى البخارى ومسلم عن ابن عمر أن رسول اللَّه ﷺ قال : « إن أحدكم إذا مات عرض عليه مقعده بالغداة والعشى إن كان من أهل الجنة فمن أهل الجنة ، وإن كانت من أهل النار فمن أهل النار ، يقال : هذا مقعدك حتى يبعثك اللَّه إليه يوم القيامة »(١) .

شرح الحديث نقلاً عن القرطبى - رحمه اللَّه - :

قوله : « عرض عليه مقعده » . ويروى : « عرض على مقعده » . قال علماؤنا : وهذا ضرب من العذاب ، كبير المثال وعندنا فى الدنيا ، وذلك كمن عرض عليه القتل أو غيره من آلات العذاب ، أو من يهدد به من غير أن يرى الآلة ، ونعوذ باللَّه من عذابه وعقابه بكرمه ورحمته ، وجاء فى التنزيل فى حق الكافرين : ﴿ٱلنَّارُ يُعۡرَضُونَ عَلَيۡهَا غُدُوّٗا وَعَشِيّٗاۚ﴾ [غافر : ٤٦]. فأخبر تعالى أن الكافرين يعرضون على النار كما أن أهل السعادة يعرضون على الجنان بالخبر الصحيح فى ذلك ، وهل كل مؤمن يعرض على الجنان؟ فقيل : ذلك مخصوص بالمؤمن الكامل الإيمان ، ومن أراد اللَّه إنجاءه من النار ، وأما من أنفذ اللَّه عليه وعيده من المخلطين الذين خلطوا عملاً صالحًا وآخر سيئًا فله مقعدان يراهما جميعًا كما أنه يرى عمله شخصين فى وقتين واحد قبيحًا وحسنًا ، وقد يحتمل أن يراد بأهل الجنة كل من يدخلها كيفما كان ، واللَّه أعلم.

ثم قيل : هذا العرض إنما هو على الروح وحده ويجوز أن يكون مع جزء من البدن ، ويجوز أن يكون عليه من جميع الجسد فيرد إليه الروح كما ترد عند المسألة حين يقعده الملكان ، ويقال له : انظر إلى مقعدك من النار قد أبدلك اللَّه به مقعدًا من الجنة ، وكيفما كان ، فإن العذاب محسوس ، والألم موجود ، والأمر شديد ، وقد ضرب بعض العلماء لتعذيب الروح مثلاً فى النائم ، فإن روحه تعذب أو تنعم والجسد لا يحس بشىء من ذلك. وقال عبد اللَّه بن مسعود : أرواح آل فرعون فى

---

(١) رواه البخارى (١٣٧٩) مسلم (٢٨٦٦).

أجواف طير سود تغدو على جهنم وتروح كل يوم مرتين فذلك عرضها.

وإن قيل: فقد قال اللّه تعالى: ﴿وَلَهُمْ رِزْقُهُمْ فِيهَا بُكْرَةً وَعَشِيًّا﴾ [مريم: ٦٢]. فالجواب سيكون فى وصف الجنة إن شاء اللّه تعالى.

سعة القبور على المؤمنين

جاء فى حديث البخارى ومسلم: «أنه يفسح له سبعون ذراعًا». وفى الترمذى: «سبعون ذراعًا فى سبعين ذراعًا». وفى حديث البراء: «مد البصر». وخرج على بن معبد عن معاذة قالت: قلت لعائشة رضى اللّه عنها: ألا تخبرينا عن مقبورنا ما يلقى وما يُصنع به؟ فقالت: إن كان مؤمناً فسح له فى قبره أربعون ذراعًا[1]. قلت: وهذا إنما يكون بعد ضيق السؤال وأما الكافر فلا يزال قبره عليه ضيقًا، فنسأل اللّه العفو والعافية فى الدنيا والآخرة.

مع أىِّ الفريقين تريد أن تكون؟

وروى على بن معبد عن أبى حازم عن أبى هريرة رضى اللّه عنه أنه قال: إذا وُضع الميت فى قبره، أتاه آت من ربه.

فيقول له: من ربك؟ فإذا كان من أهل التثبيت؟ ثبت، وقال: اللّه ربى. ثم يقال له: ما دينك؟ فيقول: الإسلام. فيقول من نبيك؟ فيقول: محمد ﷺ. فيرى بشراه، ويبشر فيقول: دعونى أرجع إلى أهلى فأبشرهم فيقال له: نم قرير العين، إن لك إخوانًا لم يلحقوا. وإن كان من غير أهل الحق والتثبيت قيل له: من ربك؟ فيقول: هاه، كالوا له[2]، ثم يضرب بمطراق يسمع صوته الخلق إلا الجن والإنس. ويقال له: نم كنومة المنهوس.

قال أهل اللغة: المنهوس: بالسين المهلمة: الملسوع، نهسته الحية تنهسه، قال الراجز:

وَذَاتَ قَرْنَيْنِ طَحُونِ الضِّرْسِ   تَنْهَسُ لَوْ تَمَكَّنَتْ مِنْ نَهْس

---

(١) رواه البخارى (٣٧٤) مسلم (٢٨٧٠).

(٢) كالوا له: ضربوه ضربًا شديدًا.

والمنهوس مرة ينتبه لشدة الألم عليه ، ومرة ينام كالمغمى عليه .

بشرى المؤمن فى قبره

قال كعب الأحبار : إذا وضع العبد الصالح فى قبره احتوشته[١] أعماله الصالحة فتجيء ملائكة العذاب من قِبَل رجليه ، فتقول الصلاة : إليكم عنه ، فيأتون من قِبَل رأسه ، فيقول الصيام : لا سبيل لكم عليه ، فقد أطال ظَمأه للّه - عز وجل - فى دار الدنيا . فيأتون من قِبَل جسمه فيقول الحج والجهاد : إليكم عنه ، فقد أنصب نفسه ، وأتعب بدنه وحج وجاهد للّه - عز وجل - لا سبيل لكم عليه . فيأتون من قِبَل يديه ، فتقول الصدقة : كفوا عن صاحبى فكم من صدقة خرجت من هاتين اليدين ، حتى وقعت فى يد اللّه - عز وجل - ابتغاء لوجهه ، فلا سبيل لكم عليه. قال : فيقال له : نِمْ هنيئًا ، طِبْت حيًّا ، وطِبْتَ ميتًا .

عذاب القبر ونعيمه للروح أم للبدن؟ أم لهما معًا؟

قال شيخ الإسلام ابن تيمية - رحمة اللّه عليه - : الأحاديث الصحيحة المتواترة تدل على عودة الروح إلى البدن وقت السؤال ، وسؤال البدن بلا روح قول قاله طائفة من الناس وأنكره الجمهور ، وقابلهم آخرون فقالوا : السؤال للروح بلا بدن . وهذا قاله ابن حزم ، وكلاهما غلط ، والأحاديث الصحيحة ترد ، ولو كان ذلك على الروح فقط ، لم يكن للقبر بالروح اختصاص.

ثم قال - رحمه اللّه - : بل العذاب والنعيم على النفس والبدن جميعًا باتفاق أهل السُّنة والجماعة ، تُنعَّمُ النفس وتُعَذَّب منفردة عن البدن ، وتُعذّب متصلة بالبدن ، والبدن متصل بها[٢] .

---

(١) يعنى: اجتمعت عليه.

(٢) مجموع الفتاوى (٤/ ٢٨٢) وما بعدها.

ما ينجى من عذاب القبر وفتنته

- التعوذ من عذاب القبر وفتنته
- الرباط فى سبيل اللَّه.
- الشهادة فى سبيل اللَّه
- قراءة سورة تبارك
- من تقتله بطنه
- الموت ليلة الجمعة أو يومها

ما ينجى من عذاب القبر وفتنته

وهذه أعمال ينجى اللَّه بها المؤمن من عذاب القبر، نذكرها بأدلتها الصحيحة :

(١) التعوذ من عذاب القبر وفتنته :

عن عائشة - رضى اللَّه عنها - قالت : دخل علىّ رسول اللَّه ﷺ، وعندى امرأة من اليهود وهى تقول : إنكم تفتنون فى القبور، فارتاع رسول اللَّه ﷺ وقال : «إنما يفتتن يهود». قالت عائشة : فلبثنا ليالى. ثم قال رسول اللَّه ﷺ : «هل شعرت أنه أوحى إلىّ : أنكم تفتنون فى القبور؟» قالت عائشة : فسمعت رسول اللَّه ﷺ يستعيذ من عذاب القبر[١].

وخرج البخارى عن أبى هريرة قال : كان رسول اللَّه ﷺ يدعو : «اللَّهم إنى أعوذ من عذاب القبر، ومن عذاب النار، ومن فتنة المحيا والممات، ومن فتنة المسيح الدجال»[١]. والأحاديث فى هذا المعنى كثيرة جدًا أخرجها الأثبات الثقات.

(٢) الرباط فى سبيل اللَّه :

روى مسلم عن سلمان قال : سمعت رسول اللَّه ﷺ يقول : «رباط يوم وليلة خير من صيام شهر وقيامه، وإن مات جرى عليه عمله الذى كان يعمله وأجرى عليه رزقه وأمن من الفتان»[٢]. فالرباط من أفضل الأعمال التى يبقى ثوابها بعد الموت، كما جاء فى حديث أبى هريرة : «إذا مات ابن آدم انقطع عمله إلا من ثلاثة». فينقطع ذلك بنفاده وذهابه، كالصدقة بنفادها، والعلم بذهابه، والولد الصالح بموته، والنخل بقطعه إلى غير ذلك مما ذكر، والرباط يضاعف أجره لصاحبه إلى يوم القيامة لقوله عليه السلام : «وإن مات أجرى عليه عمله».

---

(١) صحيحان وقد سبقا.

(٢) رواه مسلم (١٩١٣) فى الإمارة.

وقد جاء مفسرًا مبينًا فى كتاب الترمذى عن فضاله بن عبيد عن رسول اللَّه ﷺ قال : « كل ميت يختم على عمله إلا الذى مات مرابطًا فى سبيل اللَّه ، فإنه ينمو له عمله إلى يوم القيامة ويأمن من فتنة القبر » . وقال : حديث حسن صحيح ، وأخرجه أبو داود بمعناه وقال : يؤمن من فتانى القبر[١] ، ولا معنى للنماء إلا المضاعفة وهى غير موقوفة على سبب ، فتنقطع بانقطاعه ، بل هى فضل دائم من اللَّه تعالى ؛ لأن أعمال البر لا يتمكن منها إلا بالسلامة من العدو ، والتحرز منهم بحراسته بيضة الدين وإقامة شعائر الإسلام ، وهذا العمل الذى يجرى عليه ثوابه هو ما كان يعمله من الأعمال الصالحة.

معنى الرِّباط :

هو الملازمة فى سبيل اللَّه ، مأخوذ من ربط الخيل ثم سمى ملازم الثغر من ثغور المسلمين : مرابطًا ، فارسًا كان أو راجلاً ، واللفظة مأخوذة من الرباط فى سبيل اللَّه ، والرباط اللغوى هو الأول ، وهو الذى يشخص إلى ثغر من الثغور ليرابط فيه مدة ما ، فأما سكان الثغور دائمًا بأهلهم الذين يعمرون ويتكسبون هناك ، فهم وإن كانوا حماة فليسوا بمرابطين. قاله علماؤنا.

(٣) الشهادة فى سبيل اللَّه :

روى النسائى عن راشد بن سعد عن رجل من أصحاب رسول اللَّه ﷺ أن رجلاً قال : يا رسول اللَّه ، ما بال المؤمنين يفتنون فى قبورهم إلا الشهيد؟ قال : « كفى ببارقة السيوف على رأسه فتنة »[٢].

وعن المقداد بن معد يكرب قال : قال رسول اللَّه ﷺ : « للشهيد عند اللَّه ست خصال : يغفر له فى أول دفعة ، ويرى مقعده من الجنة ، ويجار من عذاب القبر ، ويأمن من الفزع الأكبر ، ويوضع على رأسه تاج الوقار ، الياقوتة منه خير من الدنيا وما فيها ، ويزوج اثنتين وسبعين زوجة من الحور العين ، ويشفع فى سبعين من

---

(١) صحيح: الترمذى (١٦٢١) ، أبو داود (٢٥٠٠).

(٢) صحيح: النسائى (٤/ ٩٩) وصححه الألبانى.

أقاربه » لفظ الترمذى وقال : حديث حسن صحيح غريب.

وقال ابن ماجه : « يغفر له فى أول دفعه من دمه ويحلى حلة الإيمان » بدل « ويوضع على رأسه تاج الوقار »[١].

قال القرطبى : عند الترمذى وابن ماجه « ست خصال » . وفى متن الحديث « سبع » . وعلى ما ذكره ابن ماجه : « ويحلى بحلة الإيمان » تكون ثمانية ، فيكون الحديث : « للشهيد عند ربه ثمانية خصال ».

قال القرطبى - رحمه اللَّه - : قوله عليه السلام فى الشهيد : « كفى ببارقة السيوف على رأسه فتنة » معناه : أنه لو كان فى هؤلاء المقتولين نفاق كان إذا التقى الزحفان ، وبرقت السيوف فروا لأن من شأن المنافق : الفرار والروغان عند ذلك ، ومن شأن المؤمن : البذل والتسليم للَّه نفسًا ، والهيجان حمية للَّه ، والتعصب له ، لإعلاء كلمته ، فهذا قد أظهر صدق ما فى ضميره حين برز للحرب والقتل ، فلماذا يعاد عليه السؤال فى القبر؟ قاله الترمذى الحكيم.

قال القرطبى : قلت : وإذا كان الشهيد لا يفتتن فالصديق أجل خطرًا ، أعظم أجرًا فهو أحرى أن لا يفتن لأنه المقدم ذكره فى التنزيل على الشهداء فى قوله تعالى : ﴿فأولئك مع الذين أنعم اللَّه عليهم من النبيين والصديقين والشهداء﴾ [النساء : ٦٩]. وقد جاء فى المرابط الذى هو أقل مرتبة من الشهيد أنه لا يفتن فكيف بمن هو أعلى مرتبة منه ومن الشهيد؟ واللَّه أعلم فتأمله!.

من هم الشهداء؟ ولِمَ سُمُّوا بذلك ، ومعنى الشهادة :

الترمذى عن أبى هريرة أن رسول اللَّه ﷺ قال : « الشهداء خمسة : المبطون ، والمطعون[٢] ، والغريق ، وصاحب الهدم ، والشهيد فى سبيل اللَّه عز وجل »[٣]. وقال : هذا حديث حسن صحيح.

---

(١) صحيح: الترمذى (١٦٦٣) ابن ماجه (٢٧٩٩).

(٢) من أصابه الطاعون.

(٣) صحيح: الترمذى (١٠٦٣).

النسائى عن جابر قال : قال رسول اللَّه ﷺ : « الشهداء سبعة سوى القتل فى سبيل اللَّه : المطعون ، والمبطون ، والغريق ، والحرق ، وصاحب ذات الجنب ، والذى يموت تحت الهدم ، والمرأة تموت بجمع »[١].

قيل : هى التى تموت من الولادة وولدها فى بطنها قد تم خلقه ، وقيل : إذا ماتت من النفاس فهى شهيدة ، سواء ألقت ولدها ، أو ماتت وهو فى بطنها ، وقيل : التى تموت بكرًا لم يمسها الرجال ، وقيل : التى تموت قبل أن تحيض وتطمث فهذه أقوال لكل قول وجهان ، وفى الجمع لغتان ضم الجيم وكسرها ، وفى بعض الآثار : « المجنوب شهيد » . يريد : صاحب الجنب ، وهو صاحب ذات الجنب وهى : (الشوصة).

وعند الترمذى وأبى داود والنسائى عن سعيد بن زيد قال : سمعت رسول اللَّه ﷺ يقول : « من قتل دون ماله فهو شهيد ، ومن قتل دون دمه فهو شهيد ، ومن قتل دون دينه فهو شهيد ، ومن قتل دون أهله فهو شهيد »[٢] وقال الترمذى حديث حسن صحيح .

وروى النسائى من حديث سويد بن مقرن قال : قال رسول اللَّه ﷺ : « من قتل دون مظلمة فهو شهيد »[٣].

وخرج مسلم من حديث أنس قال : قال رسول اللَّه ﷺ : « من طلب الشهادة صادقًا أعطيها وإن لم تصبه »[٤].

وفى رواية عن سهل بن حنيف أن النبى ﷺ قال : « من سأل اللَّه الشهادة بصدق بلغه اللَّه منازل الشهداء وإن مات على فراشه »[٥].

(١) صحيح: النسائى (٤/ ١٤).
(٢) صحيح: الترمذى (١٤٢١)، أبو داود (٤٧٧٢)، النسائى (٧/ ١١٦).
(٣) حسن: النسائى (٧/ ١١٧).
(٤) صحيح: مسلم (١٩٠٨).
(٥) صحيح: مسلم (١٩٠٩).

روى النسائى عن العرباض بن سارية أن رسول اللَّه ﷺ قال : «يختصم الشهداء والمتوفون على فرشهم إلى ربنا فى الذين يتوفون من الطاعون ، فيقول الشهداء : قتلوا كما قتلنا ، ويقول المتوفون على فرشهم : إخواننا ماتوا على فراشهم كما متنا؟ فيقول ربنا عز وجل : انظروا إلى جراحهم ، فإن أشبهت جراح المقتولين فإنهم منهم ، فإذا جراحهم أشبهت جراحهم»(١).

وروت عائشة رضى اللَّه عنها قالت : قال رسول اللَّه ﷺ : «إن فناء أمتى بالطعن والطاعون»(٢) . قالت : أما الطعن فقد عرفناه ، فما الطاعون؟ قال : «غدة كغدة البعير تخرج فى المراق والإباط ، من مات منها مات شهيدًا».

لا تأكل الأرض أجساد الأنبياء ولا الشهداء ، وأنهم أحياء

قال اللَّه تعالى : ﴿بَلْ أَحْيَآءٌ عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ﴾ [آل عمران : ١٦٩].

ولذلك لا يغسلون ولا يصلى عليهم ، ثبت ذلك فى الأحاديث الصحيحة فى شهداء أحد وغيرهم ، وليس هذا موضع ذكرها.

وروى مالك بن عبد الرحمن بن أبى صعصعة أنه بلغه أن عمرو بن الجموح وعبد اللَّه بن عمرو بن حرام الأنصاريين ثم السلميين كانا قد حفر السيل قبرهما ، وكان قبرهما مما يلى السيل ، وكانا فى قبر واحد ، وهما ممن استشهدا يوم أحد ، فحفر عنهما ليغيرا من مكانهما ، فوجدا لم يتغيرا كأنهما ماتا بالأمس ، وكان أحدهما قد جرح فوضع يده على جرحه فدفن ، وهو كذلك فأميطت يده عن جرحه ، ثم أرسلت فرجعت كما كانت ، وكان بين أحد وبين يوم حفر عنهما ست وأربعون سنة. وقال أبو عمر : هذا حديث لم يختلف عن مالك فى انقطاعه ، وهو حديث يتصل من وجوه صحاح عن جابر. قال القرطبى رحمه اللَّه : وهكذا حكم من تقدمنا من الأمم من قتل شهيدًا فى سبيل اللَّه ، أو قتل على الحق كأنبيائهم ، وفى الترمذى فى قصة أصحاب الأخدود : وأن الغلام الذى قتله الملك دفن ، قال فذكر أنه أخرج

(١) حسن: النسائى (٦، ٣٧، ٣٨).

(٢) صحيح: أحمد (٦/ ٣٣، ١٤٥، ٢٥٥) فى المسند .

فى زمن عمر بن الخطاب وأصبعه على صدغه كما وضعها حين قُتل[١] . وخرّج أبو داود وابن ماجه فى سننهما عن أوس بن أوس قال : قال رسول اللَّه ﷺ : « إن أفضل أيامكم يوم الجمعة ، فيه خُلق آدم ، وفيه قبض ، وفيه النفخة ، وفيه الصعقة فاكثروا علىّ من الصلاة فيه ، فإن صلاتكم معروضة على » . قالوا : يا رسول اللَّه : كيف تُعرض صلاتنا عليك وقد أرمت[٢]؟ يقولون : بليت . فقال : « إن اللَّه عز وجل حرم على الأرض أن تأكل أجساد الأنبياء »[٣] . لفظ أبى داود .

(٤) قراءة سورة (تبارك - الملك -) :

الثالث : عن ابن عباس قال : ضرب رجل من أصحاب رسول اللَّه ﷺ خباءه على قبر وهو لا يحسب أنه قبر ، فإذا إنسان يقرأ سورة الملك حتى ختمها ، فأتى النبى ﷺ فقال : يا رسول اللَّه ضربت خبائى على قبر وأنا لا أحسب أنه قبر ، فإذا بقبر إنسان يقرأ سورة الملك حتى ختمها فقال ﷺ : « هى المانعة هى المنجية تنجيه من عذاب القبر »[٤] .

وخرّج الترمذى عن ابن عباس أيضًا : « أن من قرأها كل ليلة جاءت تجادل عن صاحبها »[٥] . وروى أنها المجادلة تجادل على صاحبها يعنى قارئها فى القبر ، وروى أن من قرأها كل ليلة لم يضره الفتان .

(٥) من يقتله بطنه :

خرج النسائى عن جامع بن شداد قال : سمعت عبد اللَّه بن يسار يقول : كنت جالسًا عند سليمان بن صرد وخالد بن عرفطة ، فذكرا : أن رجلاً مات ببطنه فإذا هما يشتيهان أن يشهدا جنازته ، فقال أحدهما للآخر : ألم يقل رسول اللَّه ﷺ :

(١) صحيح: الترمذى (٣٣٤٠) .

(٢) صرت جثة وأكلها الدود والأرض .

(٣) صحيح: أبو داود (١٠٤٧)، وابن ماجه (١٠٨٥) .

(٤) صحيح: الترمذى (٢٨٩٠).

(٥) صحيح: الدارمى (٣٤١٣).

« من يقتله بطنه لم يعذب فى قبره » . أخرجه الطيالسى فى مسنده ، قال : حدثنا شعبة ، قال : أخبرنى جامع بن شداد . فذكره وزاد : فقال الآخر : بلى[١] .

(٦) الموت ليلة الجمعة أو يومها :

روى الترمذى بسنده عن عبد اللّٰه بن عمرو قال : قال رسول اللّٰه ﷺ : « ما من مسلم يموت يوم الجمعة أو ليلة الجمعة إلا وقاه اللّٰه فتنة القبر » . وقال : هذا حديث حسن غريب[٢] .

وعن جابر رضى اللّٰه عنه قال : قال رسول اللّٰه ﷺ : « من مات ليلة الجمعة أو يوم الجمعة أجير من عذاب القبر ، وجاء يوم القيامة وعليه طابع الشهداء »[٣] .

قال القرطبى : اعلم رحمك اللّٰه أن هذا الباب لا يعارض ما تقدم من الأبواب ، بل يخصصها ويبين من لا يسأل فى قبره ، ولا يفتن فيه ، ممن يجرى عليه السؤال ، ويقاسى تلك الأهول ، وهذا كله ليس فيه مدخل للقياس ولا مجال للنظر فيه ، وإنما فيه التسليم والانقياد لقول الصادق المرسل إلى العباد ﷺ. ومن حديث جابر عن النبى ﷺ قال : « إذا دخل الميت فى قبره مثلت له الشمس عند غروبها فيجلس فيمسح عينيه ويقول : دعونى أصلى »[٤] . ولعل هذا ممن وقى فتنة القبر فلا تعارض والحمد للّٰه .

* * *

(١) صحيح: النسائى (٤/٩٨)، الطيالسى (١٢٨٨). وقيل: إن من قتله بطنه : الإستقاء أو الشوصة ، والله أعلم.

(٢) صحيح لغيره: الترمذى (١٠٧٤).

(٣) انظر ما قبله.

(٤) حسن الإسناد: ابن ماجه (٤٢٧٢).

ما ينتفع به الميت بعد موته

- تجنب النياحة عليه.
- قضاء الدين عنه.
- إنفاذ وصيته وعهده.
- الصدقة عنه.
- قضاء دَيْن اللّٰه عز وجلّ
- زيارة قبره والدعاء له.

(١) تجنب النياحة عليه :

عن عبد اللَّه قال : قال النبى ﷺ : «ليس منا من ضرب الخدود ، وشق الجيوب ، ودعا بدعوى الجاهلية»[١].

وعن عبد الرحمن بن عوف رضى اللَّه عنه قال : قال رسول اللَّه ﷺ : «ما نهيت عن البكاء ، إنما نهيت عن النوح»[٢].

وعن أبى بردة بن أبى موسى قال : وجع أبو موسى وجعا فغشى عليه ورأسه فى حجر امرأة من أهله ، فصاحت امراة من أهله ، فلم يستطع أن يرد عليها شيئًا ، فلما أفاق قال : أنا برئ مما برئ منه رسول اللَّه ﷺ ، فإن رسول اللَّه ﷺ برئ من الصالقة ، والحالقة ، والشاقة[٣].

والصالقة والسالقة : هى الترى ترفع صوتها عند المصيبة . والحالقة : هى التى تحلق شعرها عند المصيبة . والشاقة : هى التى تشق ثوبها عند المصيبة.

وقيل : الصلق : ضرب الوجه.

وأما دعوى الجاهلية : فهى النياحة ، وندبة الميت ، والدعاء بالويل وشبهه[٤].

كقولهم : واجبلاه[٥].

وعن أم عطية رضى اللَّه نها قالت : أخذ علينا النبى ﷺ عند البيعة أن لا ننوح . .»[٦].

---

(١) أخرجه البخارى (٣/ ١٩٥) (١٣٩٤) فى الجنائز، مسلم فى ا لإيمان - باب تحريم ضرب الخدود، وشق الجيوب، والدعاء بدعوى الجاهلية (١/ ٩٩) (١٦٥) (١٠٣)، الترمذى (٤/ ٧٩) (١٠٠٤)، النسائى (٤/ ١٩)، ابن ماجه (١/ ٥٠٥) (١٥٨٤)، أحمد (١/ ٤٣٢).

(٢) أخرجه البغوى فى «شرح السنة» (٥/ ٤٣٧) (١٥٣٥).

(٣) أخرجه البخارى (٣/ ١٩٧) (١٢٩٦)، مسلم (٢/ ١٠٠) (١٦٧) (١٠٤) فى الإيمان، وأورده البغوى (٥/ ٤٣٨) فى «شرح السنة».

(٤) النووى فى «شرح مسلم» (٢/ ١١٠)، البغوى (٥/ ٤٣٨) فى «شرح السنة».

(٥) ذكره الحافظ فى «الفتح» (٣/ ١٩٦).

(٦) أخرجه البخارى (٣/ ٢١٠) (١٣٦)، النسائى (٤/ ١٦)، وأورده الهيثمى فى «المجمع» =

وعن عمر رضى اللَّه عنه عن النبى ﷺ قال : « الميت يعذب فى قبره بما نيح عليه »[(١)] .

وقال ابن المبارك : أرجو إن كان ينهاهم فى حياته أن لا يكون عليه من ذلك شىء[(٢)] .

وعن أبى مالك الأشعرى رضى اللَّه عنه قال : قال رسول اللَّه ﷺ : « النياحة من أمر الجاهلية ، وإن النائحة إذا ماتت ولم تتب قطع اللَّه لها ثيابًا من قطران ، ودرعًا من لهب النار »[(٣)] . وفى رواية : « النائحة إذا لم تتب قبل موتها ، تقام يوم القيامة وعليها سربال من قطران ودرع من جرب »[(٤)] . وفى رواية : « وأقامها للناس يوم القيامة »[(٥)] .

وعن ابن عباس رضى اللَّه عنهما قال : لما افتتح رسول اللَّه ﷺ مكة رنَّ إبليس رنة ، اجتمعت إليه جنوده ، فقالوا : ايئسوا أن تردوا أمة محمد على الشرك بعد يومكم هذا ، ولكن افتنوهم فى دينهم ، وأفشوا فيهم النوح[(٦)] .

وعن أنس بن مالك رضى اللَّه عنه قال : قال رسول اللَّه ﷺ : « صوتان ملعونان فى الدنيا والآخرة : مزمار عند نعمة ، ورنة عند مصيبة »[(٧)] .

قال ابن عباس رضى اللَّه عنهما : فلما مات عمر رضى اللَّه عنه ، ذكرت ذلك لعائشة رضى اللَّه عنها فقالت : رحم اللَّه عمر ، واللَّه ما حدث رسول اللَّه ﷺ أن اللَّه ليعذب المؤمن ببكاء أهله عليه ، ولكن رسول اللَّه ﷺ قال : « إن اللَّه ليزيد الكافر عذابًا ببكاء أهله عليه » . وقالت : حسبكم القرآن ﴿وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ﴾

= (٣/١٨)، وقال: رواه أحمد ورجاله ثقات.

(١) أخرجه البخارى (٣/ ١٩١) (١٢٩٢)، مسلم فى الجنائز - باب: الميت يعذب ببكاء أهله عليه (٢/ ٦٣٩) (١٧) (٩٢٧)، النسائى (٤/ ١٧)، ابن ماجه (١/ ٥٠٨) (١٥٩٣)، أحمد (١/ ٢٦).

(٢) الترمذى فى «التحفة» (٤/ ٨٤).

(٣) أخرجه ابن ماجه (١٥٨١)، وقال فى «الزوائد»: إسناده صحيح، ورجاله ثقات.

(٤) أخرجه مسلم (٢/ ٦٤٤) (٢٩) (٩٣٤)، أحمد (٥/ ٣٤٢).

(٥) أخرجه أبو يعلى (٣/ ١٦)، وقال الهيثمى: إسناده حسن.

(٦) أخرجه الطبرانى فى «الكبير» كما فى «المجمع» (٣/ ١٦)، وقال الهيثمى: ورجاله موثوقون.

(٧) أخرجه البزار كما فى «المجمع» (٣/ ١٦)، وقال الهيثمى: ورجاله ثقات.

[الأنعام : ١٦٤]. قال ابن عباس رضى اللَّه عنهما عند ذلك : واللَّه ﴿هُوَ أَضْحَكَ وَأَبْكَىٰ﴾ [النجم : ٤٣].

قال ابن أبى مليكة : واللَّه ما قال ابن عمر رضى اللَّه عنهما شيئًا[١].

وتأويل قول النبى ﷺ عن الميت : « يعذب ببكاء أهله ». مخصوص فى بعض الأموات الذين وجب عليهم العذاب بذنوب اقترفوها ، وجرى من قضاء اللَّه سبحانه وتعالى فيهم أن يكون عذابهم وقت البكاء عليهم ، ويكون كقلوهم : مطرنا بنوء كذا أى عند نوء كذا ، كذلك قوله : « إن الميت يعذب ببكاء أهله ». أى عند بكائهم عليه ، لاستحقاقه ذلك بذنبه ، ويكون ذلك حالاً لا سببًا ؛ لأنا لو جعلناه سببًا لكان مخالفًا للقرآن ، وهو قوله سبحانه وتعالى : ﴿وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ﴾ [الأنعام : ١٦٤][٢].

وعن أسيد بن أبى أسيد عن امرأة من المبايعات قالت : كان فيما أخذ علينا رسول اللَّه ﷺ فى المعروف الذى أخذ علينا أن لا نعصيه فيه : أن لا نخمش وجهًا ، ولا ندعوا ويلاً ، ولا نشق جيبًا ، وأن لا ننشر شعرًا[٣].

وقال رسول اللَّه ﷺ : « أنا برىء ممن حلق وسلق وخرق »[٤].

وعن النعمان بن بشير رضى اللَّه عنهما قال : أغمى على عبد اللَّه بن رواحة ، فجعلت عمرة تبكى : واجبلاه وكذا واكذا - تعدد عليه - . فقال حين أفاق : ما

---

(١) أخرجه البخارى (٣/ ١٨١) (٢٢٨٨).

(٢) الخطابى فى «معالم السنن» (٣/ ٤٩٥)، والآية من سورة الإسراء (١٥).

(٣) أخرجه أبو داود (٣/ ٤٩٦) (٣١٣١)، وقولها: أن لا نخمش وجهًا: أى لا نلطمه ولا نخدشه. وقولها: ولا ندعوا ويلا : اى لا نقول: يا ويلاه. وقولها: أن لا نشق جيبًا: أى لا نمزق أثيابنا. وقد قال لبيد بن ربيعة:

فقوما فقولا بالذى تعلمانه ولا تخمشا وجهًا ولا تحلقا شعرًا

الخطابى فى «معالم السنن» (٣/ ٤٩٦).

(٤) أخرجه مسلم فى الإيمان (١/ ١٠٠) (١٦٧) (١٠٤)، أبو داود (٣/ ٤٩٦) (٣١٣٠)، النسائى (٤/ ٢٠)، ابن ماجه (١/ ٥٠٥) (١٥٨٦).

قلت شيئًا إلا قيل لى : أأنت كذلك؟ »[١].

وعن أبى موسى الأشعرى رضى اللّٰه عنه أن رسول اللّٰه ﷺ قال : « ما من ميت يموت فيقوم باكيهم فيقول : واجبلاه ، واسيداه ، أو نحو ذلك إلا وكل به ملكان يلهزانه : أهكذا كنت؟ »[٢].

وعن جابر بن عبد اللّٰه رضى اللّٰه عنهما قال : أخذ النبى ﷺ بيد عبد الرحمن ابن عوف ، فانطلق به إلى ابنه إبراهيم ، فوجده يجود بنفسه ، فأخذه النبى ﷺ فوضعه فى حجرة فبكى ، فقال له عبد الرحمن : أتبكى ؟! أو لم تكن نهيت عن الكباء ؟! قال : « لا ، ولكن نهيت عن صوتين أحمقين فاجرين ؛ صوت عند مصيبة ، خمش وجوه ، وشق جيوب ، ورنة الشيطان »[٣].

وفى رواية : فأخذ رسول اللّٰه ﷺ إبراهيم فقبله وشمه ثم دخلنا عليه بعد ذلك وإبراهيم يجود بنفسه ، فجعلت عينا رسول اللّٰه ﷺ تذرفان ، فقال له عبد الرحمن ابن عوف رضى اللّٰه عنه : وأنت يا رسول اللّٰه؟ فقال : « يا ابن عوف إنها رحمة » . ثم اتبعها بأخرى ، فقال ﷺ : « إن العين تدمع ، والقلب يحزن ، ولا نقول إلا ما يرضى ربنا ، وإنا بفراقك يا إبراهيم لمحزونون »[٤].

وفى رواية قال : « إن اللّٰه لا يعذب بدمع العين ، ولا بحزن القلب ، ولكن يعذب بهذا - وأشار إلى لسانه - أو يرحم »[٥].

---

(١) أخرجه البخارى فى المغازى (٧/٥٨٩) (٤٢٦٧)، وأورده البغوى فى «شرح السنة»، (٥/٤٤٥).

(٢) أخرجه أحمد (٤/ ٤١٤)، الترمذى (٤/ ٨٤) (١٠٠٨)، وقال: حسن غريب . ابن ماجه (١/ ٥٠٨) (١٥٩٤) ولفظه: «الميت يعذب ببكاء الحى؛ إذا قالوا: واعضداه، واكاسياه، واناصراه، واجبلاه، ونحو هذا، يتعتع، ويقال: أنت كذلك؟ أنت كذلك ؟ » . وأورده التبريزى فى «المشكاة» (١٧٤٦)، المنذرى فى «الترغيب» (٤/ ١٧٦).

(٣) أخرجه الترمذى (٤/ ٨٧) (١٠١١)، وقال: حديث حسن صحيح، وهو فى «صحيح الجامع الصغير» رقم (٥١٩٤).

(٤) أخرجه البخارى (٣/ ٢٠٦) (١٣٠٣)، مسلم فى الفضائل - باب: رحمته ﷺ وتواضعه (٤/ ١٨٠٧) (٦٢) (٢٣١٥)، أبو داود (٣/ ٤٩٣) (٣١٢٦) .

(٥) أخرجه البخارى (٣/ ٢٠٩) (١٣٠٤) ، مسلم (٢/ ٦٣٦) (١٢) (٥٢٤) .

وفى رواية : « تدمع العين ، ويحزن القلب ، ولا نقول ما يسخط الرب ، ولولا أنه وعد صادق ، وموعود جامع ، وأن الآخر منا يتبع الأول لوجدنا عليك يا إبراهيم وجدًا أشد ما وجدنا ، وإنا بك يا إبراهيم لمحزونون »[١].

وفيه جواز البكاء على المريض والحزن ، وأن ذلك لا يخالف الرضا بالقدر ، بل هى رحمة جعلها اللّه فى قلوب عباده ، وإنما المذموم : الندب ، والنياحة ، والويل ، والثبور ، ونحو ذلك من القول الباطل ، ولهذا قال ﷺ : « ولا نقول إلا ما يرضى ربنا »[٢].

وقال عمر رضى اللّه عنه : دعهن يبكين على أبى سليمان ، ما لم يكن نقع أو لقلقة ، والنقع : التراب على الرأس. واللقلقة : الصوت[٣].

وعن الحسن أن قيس بن عاصم السعدى لما حضره الموت جمع بنيه فقال : يا بنى خذوا عنى فإنكم لن تأخذوا عن أحد هو أنصح لكم منى ، لا تنوحوا علىَّ ، فإن رسول اللّه ﷺ لم ينح عليه ، وقد سمعت النبى ﷺ ينهى عن النياحة ، وكفنونى فى ثيابى الذى كنت أصلى فيها[٤].

(٢) قضاء الدَّين عنه :

عن أبى هريرة رضى اللّه عنه عن النبى ﷺ قال : « نفس المؤمن معلقة بديْنه حتى يقضى عنه »[٥].

---

(١) أخرجه ابن ماجه (١/ ٥٠٧) (١٥٨٩)، وقد حسنه البوصيرى، وابن سعد فى «الطبقات» (١/ ١٤٣).

(٢) قاله النووى فى «شرح مسلم» (١٥/ ٧٥)، وفى رواية لأحمد (١/ ٢٣٨): «...وإياكن ونعيق الشيطان » ، ثم قال: « إنه مهما كان من العين والقلب فمن الله عز وجل، ومن الرحمة، وما كان من اليد واللسان فمن الشيطان»، وقال شاكر رقم (٢١٢٧): إسناده صحيح، ورواه ابن سعد فى «الطبقات» (٣/ ٢٩٠)، وابن عبد البر فى «الاستيعاب» (٤٩٥)، وهو فى «مجمع الزوائد» (٣/ ٢٠)، وقال الهيثمى: «رواه أحمد، وفيه على بن يزيد وفيه كلام، وهو موثق».

(٣) أخرجه البخارى (٣/ ١٩١) معلقًا ووصله الحافظ فى الفتح.

(٤) أخرجه البخارى فى «الأدب المفرد» (صـ٢٨٠).

(٥) أخرجه الترمذى (٤/ ١٩٣) (١٠٨٥)، وقال: حديث حسن. وابن ماجه (٢/ ٨٠٦) =

أى محبوسة عن مقامها الكريم ، وقيل : أى : أمرها موقوف لا حكم لها بنجاة ولا هلاك ، حتى ينظر هل يقضى ما عليها من الدين أم لا[(١)].

وعن عبد اللَّه بن عمرو رضى اللَّه عنهما أن النبى ﷺ قال : « القتل فى سبيل اللَّه يكفر كل شىء إلا الدَّيْن »[(٢)].

وعن سمرة رضى اللَّه عنه قال : خطبنا رسول اللَّه ﷺ فقال : « ها هنا أحد من بنى فلان؟ » . فلم يجبه أحد. ثم قال : « ها هنا أحد من بنى فلان ؟ » . فلم يجبه أحد. ثم قال : « ها هنا أحد من بنى فلان ؟ » فقام رجل فقال : أنا يا رسول اللَّه فقال ﷺ : « ما منعك أن تجيبنى فى المرتين الأوليين؟. أما إنى لم أنوّه بكم إلا خيرًا ، إن صاحبكم مأسور بدينه » . فلقد رأيته أدى عنه حتى ما بقى أحد يطلبه بشىء[(٣)].

وعن أبى هريرة رضى اللَّه عنه أن رسول اللَّه ﷺ كان يؤتى بالرجل المتوفى عليه الدَّين ، فيسأل : « هل ترك لدينه فضلاً؟ ». فإن حُدث أنه ترك وفاءً صلى ، وإلا قال للمسلمين : « صلوا على صاحبكم ». فلما فتح اللَّه عليه الفتوح قال : « أنا أولى بالمؤمنين من أنفسهم ، فمن توفى من المؤمنين فترك دَينًا فعلىّ قضاؤه ، ومن ترك مالاً فلورثته »[(٤)].

إنما كان كان يترك الصلاة عليه ليحرِّض الناس على قضاء الدَّين فى حياتهم ،

= (٢٤١٣) فى الصدقات - باب: التشديد فى الدَّين، والدارمى (٢/ ٢٦٢)، وأحمد (٢/ ٤٤٠، ٤٧٥).

(١) «تحفة الأحوذى» (٤/ ١٩٣) نقلا عن العراقى.

(٢) أخرجه مسلم فى الإمارة - باب : من قتل فى سبيل الله كفرت خطاياه إلا الدين (٣/ ١٥٠٢) (١٢٠) (١٨٨٦)، الترمذى فى فضائل الجهاد (٥/ ٣٧٠) (١٧٦٥)، النسائى (٦/ ٣٤)، ابن ماجه (٢/ ٩٢٨) (٢٧٧٨) بنحوه، الدارمى (٢/ ٢٠٧)، «الموطأ» (٢/ ٤٦١)، أحمد (٢/ ٢٢٠).

(٣) أخرجه أبو داود (٣/ ٦٣٧) (٣٣٤١) فى البيوع والإجارات، النسائى فى البيوع (٧/ ٣١٥).

(٤) أخرجه البخارى فى النفقات - باب: قول النبى ﷺ : «من ترك كلاً أو ضياعًا فإلىّ» . (٩/ ٤٢٥) (٥٣٧١)، مسلم فى الفرائض (٣/ ١٢٣٧) (١٤) (١٦١٩)، أبو داود (٣/ ٦٣٨) (٣٣٤٣)، الترمذى (٤/ ١٨٠) (١٠٧٦)، النسائى (٤/ ٦٦)، ابن ماجه فى الصدقات (٢/ ٨٠٧) (٢٤١٥)، الدارمى فى البيوع (٢/ ٢٦٣)، أحمد (٣/ ٢١٥).

والتوصل إلى البراءة منها ؛ لئلا تفوتهم صلاة النبى ﷺ ، فلما فتح اللَّه عليه عاد يصلى عليهم ، ويقضى دين من لم يخلف وفاء[١] .

وعن سمرة بن جندب رضى اللَّه عنه قال : قال رسول اللَّه ﷺ : « على اليد ما أخذت حتى تؤديه »[٢] .

وعن جابر بن عبد اللَّه رضى اللَّه عنهما قال : تُوفى أبى وعليه دَين ، فعرضت على غرمائه أن يأخذوا التمر بما عليه فأبوا ، ولم يروا أن فيه وفاءً ، فأتيت النبى ﷺ فذكرت ذلك له ، فقال : « إذا جددته فوضعته فى المِربد فآذنى » . . . فآذنت رسول اللَّه ﷺ ، فجاء ومعه أبوبكر وعمر ، فجلس عليه ودعا بالبركة ، ثم قال : « ادع غرماءك فأوفهم » . فما تركت أحدًا له على أبى دَين إلا قضيته[٣] .

وعن عبد اللَّه بن الزبير رضى اللَّه عنهما قال : لما وقف الزبير يوم الجمل دعانى ، فقمت إلى جنبه ، فقال : يا بنى إنه لا يقتل اليوم إلا ظالم أو مظلوم ، وإنى لا أرانى إلا سأقتل اليوم مظلومًا ، وإن من أكبر همى لدينى ، أفترى ديننا يبقى من مالنا شيئًا؟ ثم قال : يا بنى بع مالنا واضع دينى . . . فجعل يوصينى بدينه ويقول : يا بنى إن عجزت عن شىء منه فاستعن عليه بمولاى . قال فواللَّه ما دريت ما أراد ، حتى قلت : يا أبت من مولاك ؟ قال : اللَّه قال : ما وقعت فى كربة من دينه إلا قلت : يا مولى الزبير اقض عنه فيقضيه ، فقتل الزبير ، فقضى عبد اللَّه بفضل اللَّه دينه ، فلما فرغ قال بنو الزبير : اقسم بيننا ميراثنا . قال : واللَّه لا أقسم بينكم حتى أنادى بالموسم أربع سنين : ألا من كل له على الزبير دين فليأتنا فلنقضه . فجعل كل سنة ينادى فى الموسم ، فلما مضى أربع سنين قسم بينهم[٤] .

وعن على رضى اللَّه عنه أن النبى ﷺ قضى بالدَّين قبل الوصية ، وأنتم تقرءونها قبل الدَّين ، والعمل على هذا عند عامة أهل العلم أنه يبدأ بالدَّين قبل الوصية[٥] .

---

(١) قاله النووى فى «شرح مسلم» (١١/ ٦٠).

(٢) «سنن الدارمى» (٢/ ٢٦٤).

(٣) أخرجه البخارى (٥/ ٣٦٥) (٢٧٠٩) فى الصلح، النسائى (٦/ ٢٤٦).

(٤) أخرجه البخارى فى فرض الخمس (٦/ ٢٦٢) (٣١٢٩).

(٥) أخرجه البخارى فى الوصايا - باب: تأويل قوله تعالى: ﴿مِنۢ بَعۡدِ وَصِيَّةٖ يُوصِي بِهَآ أَوۡ دَيۡنٍۗ﴾ [النساء: ١١] (٥/ ٤٤٣)، الترمذى (٦/ ٣١٤) (٢٢٠٥) فى الوصايا - باب: ما جاء =

وقوله عز وجل : ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تُؤَدُّوا۟ ٱلْأَمَٰنَٰتِ إِلَىٰٓ أَهْلِهَا﴾ [النساء : ٥٨].

فأداء الأمانة أحق من تطوع الوصية ، وقال النبى ﷺ : « لا صدقة إلا عن ظهر غنى »[١].

وعن أبى أمامة الباهلى رضى اللَّه عنه قال : سمعت رسول اللَّه ﷺ يقول فى خطبته عام حجة الوداع : « .... العارية مؤداة ، والمنحة مردودة ، والدَّين مقضى ، والزعيم غارم »[٢].

(٣) إنفاذ وصيته وعهده :

عن الشريد بن سويد الثقفى قال : أتيت رسول اللَّه ﷺ فقلت : إن أمى أوصت أن تُعتق عنها رقبة ، وإن عندى جارية نوبية ، أفيجزئ عنى أن أعتقها عنها؟ قال : « ائتنى بها ». فقال لها النبى ﷺ : « مَنْ ربك؟ ». قالت : اللَّه. قال : « من أنا؟ ». قالت : أنت رسول اللَّه ﷺ. قال : « فأعتقها فإنها مؤمنة »[٣].

وعن جابر رضى اللَّه عنه قال : قال لى النبى ﷺ : « لو جاء البحرين أعطيتك هكذا ثلاثًا ». فلما قدم حتى توفى النبى ﷺ ، فأمر أبوبكر مناديًا فنادى : مَنْ كان له عند النبى ﷺ عدة أو دين فليأتنا . فأتيته فقلت : إن النبى ﷺ وعدنى ، فحثى لى ثلاثًا[٤].

وقال هزيل بن شرحبيل : أبو بكر كان يتأمر على وصى رسول اللَّه ﷺ ، ودَّ أبو بكر رضى اللَّه عنه أنه وجد من رسول اللَّه ﷺ عهدًا فخزم آنفه بخزامه ذلك[٥].

= يبدأ بالدَّين قبل الوصية، ابن ماجه فى الوصايا (٢/٩٠٦) (٢٧١٥) باب: الدَّين قبل الوصية، أحمد (١/٧٩).

(١) سبق تخريجه تحت رقم (٢٤٢) والآية من سورة النساء (٥٨)

(٢) أخرجه الترمذى (٦/ ٣١١) (٢٢٠٣) فى الوصايا، وقال: حديث حسن. والعارية مؤداة: أى تؤدى إلى صاحبها . والمنحة مردودة: هى ما يمنحه الرجل صاحبه؛ أى يعطيه من ذات در ليشرب لبنها، أو شجرة ليأكل ثمرها، أو أرضًا ليزرعها. وفيها إعلام بأنها تتضمن عليك المنفعة لا تمليك الرقبة. والدين مقضى: أى يجب قضاؤه. والزعيم غارم: أى الكفيل يلزم نفسه ما ضمنه. ومن ضمن دينا لزمه أداؤه. (التحفة (٦/ ٣١١).

(٣) أخرجه النسائى (٦/ ٢٥٢) فى الوصايا - باب : فضل الصدقة على الميت.

(٤) أخرجه البخارى (٥/ ٢٦٢) (٢٥٩٨) فى الهبة، مسلم فى الفضائل - باب: ما سئل رسول الله ﷺ قط فقال لا (٤/١٨٠٦) (٦٠) (٢٣١٤).

(٥) الدارمى فى «السنن» (٢/٤٠٣).

(٤) الصدقة عنه :

عن عائشة رضى اللَّه عنها أن رجلاً قال للنبى ﷺ : إن أمى افتلتت نفسها ، وأراها لو تكلمت تصدقت ، أفأتصدق عنها؟ قال : « نعم تصدق عنها »[١] .

وفى هذا الحديث جواز الصدقة عن الميت ، واستحبابها ، وأن ثوابها يصله وينفعه ، وينفع المتصدق أيضًا ، وهذا كله أجمع عليه المسلمون ، وأجمع المسلمون على أنه لا يجب على الوارث التصدق عن ميته صدقة التطوع ، بل هى مستحبة .

وأما الحقوق المالية الثابتة على الميت ؛ فإن كان له تركة وجب قضاؤها منها سواء أوصى بها الميت أم لا ، ويكون ذلك من رأس المال سواء ديون اللَّه تعالى كالزكاة ، والحج ، والنذر ، والكفارة ، وبدل الصوم ونحو ذلك ، ودين الآدمى ، فإن لم يكن للميت تركة لم يلزم الوارث قضاء دينه ، لكن يستحب له ولغيره قضاؤه[٢] .

وعن أبى هريرة رضى اللَّه عنه أن رجلاً قال للنبى ﷺ : إن أبى مات وترك مالًا ولم يوص ، فهل يُكفر عنه أن أتصدق عنه ؟ قال : « نعم »[٣] .

وعن ابن عباس رضى اللَّه عنهما أن سعد بن عبادة رضى اللَّه عنه أخا بنى ساعدة توفيت أمه وهو غائب ، فأتى النبى ﷺ فال : يا رسول اللَّه إن أمى توفيت وأنا غائب عنها ، فهل ينفعها شىء إن تصدقت به عنها؟ قال : « نعم » . قال : فإنى أشهدك أن حائطى المخراف صدقة عليها[٤] .

وعن أبى هريرة - رضى اللَّه عنه - أن رسول اللَّه ﷺ قال : « إذا مات الإنسان

---

(١) أخرجه البخارى فى الوصايا (٥/ ٤٥٧) (٢٧٦٠)، مسلم فى الوصية - باب: وصول ثواب الصدقات إلى الميت (٣/ ١٢٥٤) (١٢) (١٠٠٤)، النسائى (٦/ ٢٥٠)، «الموطأ» (٢/ ٧٦٠)، مسند الحميدى (١/ ١١٩) (٢٤٣). وافتلتت: أى أُخذت فتلة أى بغتة، وهو موت الفجأة. والمراد بالنفس هنا: الروح. قاله الحافظ فى «الفتح» (٥/ ٤٥٧).

(٢) قاله النووى فى «شرح مسلم» (١١/ ٨٤).

(٣) أخرجه مسلم (٣/ ١٢٥٤) (١١) (١٦٣٠)، النسائى (٦/ ٢٥٢).

(٤) أخرجه البخارى (٥/ ٤٥٩) (٢٧٦٢)، «الموطأ» (٢/ ٧٦٠)، النسائى (٦/ ٢٥٠)، والمخراف: أى المكان المثمر؛ سمى بذلك لما يخرف منه أى يُجنى من الثمرة، تقول: شجرة مخراف ومثمار. والحائط: البستان. قاله الحافظ فى الفتح (٥/ ٤٥٤).

انقطع عنه عمله إلا من ثلاثة : إلا من صدقة جارية ، أو علم ينتفع به ، أو ولد صالح يدعو له »[١].

ومعنى الحديث : أن عمل الميت ينقطع بموته ، وينقطع تجدد الثواب له إلا فى هذه الأشياء الثلاث ؛ لكونه كان سببها ،فإن الولد من كسبه ، وكذلك العلم الذى خلفه من تعليم أو تصنيف ، وكذلك الصدقة الجارية ، وهى الوقف ، وفيه فضيلة الزواج لرجاء ولد صالح ، وفيه أن الدعاء يصل ثوابه إلى الميت ، وكذلك الصدقة ، وهما مجمع عليهما[٢].

(٥) قضاء دين اللَّه عز وجل :

عن ابن عباس رضى اللَّه عنهما أن امرأة جاءت إلى النبى ﷺ فقالت : إن أمى نذرت أن تحج ؛ فماتت قبل أن تحج ، أفحج عنها؟ قال : « نعم حجى عنها ، أرأيت لو كان على أمك دين أكنت قاضيته؟ ». قالت : نعم. قال : « فاقضوا الذى له ، فإن اللَّه أحق بالوفاء »[٣].

وعنه رضى اللَّه عنهما أن امرأة نذرت أن تحج فماتت ، فأتى أخوها النبى ﷺ فسأله عن ذلك ، فقال : « أرأيت لو كان على أختك دَين أكنت قاضيه؟ ». قال : نعم.

قال : « فاقضوا اللَّه فهو أحق بالوفاء »[٤].

وعنه رضى اللَّه عنهما قال : قال رجل : يا رسول اللَّه ، إن أبى مات ولم يحج ، أفأحج عنه؟ قال : « أرأيت لو كان على أبيك دين أكنت قاضيه؟ ». قال : نعم. قال : « فدين اللَّه أحق »[٥].

---

(١) أخرجه مسلم فى الوصية - باب : ما يلحق الإنسان من الثواب بعد وفاته (٣/ ١٢٥٥) (١٤) (١٦٣١).

(٢) قاله النووى فى «شرح مسلم» (١١/ ٨٥) بتصرف.

(٣) أخرجه البخارى فى الاعتصام (١٣/ ٣٠٩) (٧٣١٥)، مسلم فى الصيام (٢/ ٨٠٥) (١٥٧) (١١٤٩)، الترمذى فى الحج (٣/ ٦٧٨) (٩٣٤)، النسائى (٥/ ١١٦)، الدارمى (٢/ ٢٤)، أحمد (١/ ٢٣٩، ٢٧٩، ٣٤٥).

(٤) سنن النسائى (٥/ ١١٦).

(٥) سنن النسائى (٥/ ١١٨).

وعن سعد بن عبادة رضى اللَّه عنه أنه أتى النبى ﷺ فقال : إن أمى ماتت وعليها نذر ، أفيجزئ عنها أن أعتق عنها؟ قال : « أعتق عن أمك »[١].

وعن عائشة رضى اللَّه عنها أن رسول اللَّه ﷺ قال : « من مات وعليه صيام ، صام عنه وليه »[٢].

وعن ابن عباس رضى اللَّه عنهما أن امرأة أتت رسول اللَّه ﷺ فقالت : إن أمى مات وعليها صوم شهر ، فقال : « أريت لو كان عليها دين أكنت تقضينه؟ » قالت : نعم. قال : « فدين اللَّه أحق بالقضاء »[٣].

وعنه رضى اللَّه عنهما قال : جاءت امرأة إلى رسول اللَّه ﷺ فقالت : يا رسول اللَّه إن أمى ماتت وعليها صوم نذر ، أفأصوم عنها؟ قال : « أريت لو كان على أمّك دين فقضيته أكان يؤدى ذلك عنها؟ ». قالت : نعم. قال : « فصومى عن أمك »[٤].

وسئل ابن عباس رضى اللَّه عنهما عن رجل مات وعليه نذر ، فقال : يصام عنه النذر.

ومن طريق عون بن عبد اللَّه أن امرأة نذرت أن تعتكف عشرة أيام ، فماتت ولم تعتكف ، فقال ابن عباس لولدها : اعتكف عن أمك[٥].

وعن بريدة رضى اللَّه عنه قال : بينما أنا جالس عند رسول اللَّه ﷺ إذ أتته امرأة فقالت : عنى تصدقت على أمى بجارية ، وإنها ماتت. قال : فقال : (وجب أجرك ، وردها عليك الميراث ». قالت : يا رسول اللَّه ، إنه كان عليها صوم شهر أفأصوم عنها؟ قال : « صومى عنها ». قالت : إنها لم تحج قط ، أفأحج عنها؟

---

(١) أخرجه النسائى (٦/ ٢٥٣)، البخارى بلفظ : (إن سعدًا استفتى النبى ﷺ فى نذر كان على أمه، فتوفيت قبل أن تقضيه، فأفتاه أن يقضيه عنها، فكانت سنة بعد» (١١/ ٥٩٢) (٦٦٩٨).

(٢) أخرجه البخارى فى الصيام (٤/ ٢٢٧) (١٩٥٢)، مسلم فى الصيام - باب: قضاء الصيام عن الميت (٢/ ٨٠٣) (١٥٣) (١١٤٧).

(٣) أخرجه البخارى بلفظ: «جاء رجل» (٤/ ٢٢٧) (١٩٥٣)، مسلم فى الصيام (٢/ ٨٠٤) (١٥٤) (١١٤٨).

(٤) أخرجه مسلم فى الصيام (٢/ ٨٠٤) (١٥٦) (١١٤٨).

(٥) أخرجه ابن أبى شيبة كذا فى «الفتح» (١١/ ٥٩٢)، وقال الحافظ: «إسناده صحيح».

قال : « حجي عنها »[١].

وعن ابن عباس رضي اللَّه عنهما أن امرأة نذرت أن تصوم فماتت ، فجاء أخوها إلى رسول اللَّه ﷺ فسأله عن ذلك ، فقال له رسول اللَّه ﷺ : « لو كان عليها دين كنت قاضيه؟ » . قال : نعم . قال : « فاقضوا اللَّه ، فاللَّه أحق بالوفاء » . قال : فصام عنها[٢].

وفي رواية عن ابن بريدة عن أبيه قال : جاءت امرأة إلى النبي ﷺ فقالت : يا رسول اللَّه ، إن أمي ماتت وعليها صوم أفأصوم عنها؟ قال : « نعم »[٣].

وعن ابن عباس رضي اللَّه عنهما قال : جاءت امرأة إلى النبي ﷺ فقالت : يا رسول اللَّه ، إن أختي ماتت وعليها صيام شهرين متتابعين ، قال : « أرأيت لو كان على أختك دين أكنت تقضينه؟ » . قالت : بلى . قال : « فحق اللَّه أحق »[٤].

وقال الحسن : من مات وعليه صوم ، إن صام عنه ثلاثون رجلاً يومًا واحدًا جاز[٥].

(٦) زيارة قبره والدعاء له :

عن بريدة رضي اللَّه عنه قال : قال رسول اللَّه ﷺ : « نهيتكم عن ثلاث ، وأنا آمركم بهن ، نهيتكم عن زيارة القبور فزوروها ، فإن في زيارتها تذكرة . . . »[٦].

وفي رواية : « فزوروا القبور فإنها تذكر الموت »[٧].

---

(١) أخرجه مسلم في الصيام (٢/ ٨٠٥) (١٥٧) (١١٤٩).

(٢) سنن الدارمي (٢/ ٢٤) باب: الرجل يموت وعليه صوم.

(٣) أخرجه ابن ماجه (١/ ٥٥٩) (١٧٥٩) في الصيام.

(٤) أخرجه الترمذي (٣/ ٤٠٤) (٧١٢) وقال: حسن صحيح . ابن ماجة (١/ ٥٥٩) (١٧٥٨) في الصيام.

(٥) أخرجه البخاري (٤/ ٢٢٦ - فتح).

(٦) أخرجه أبو داود (٤/ ٩٧) (٣٦٩٨) في الأشربة، النسائي (٤/ ٨٩)، البغوي في «شرح السنة» (٥/ ٤٦٢) (١٥٥٣).

(٧) أخرجه مسلم (٢/ ٦٧١) (١٠٨) (٩٧٦)، أبو داود (٣/ ٥٥٧) (٣٢٣٤)، الترمذي =

وفي رواية : « فإن لكم فيها عبرة »[١] .

وفي رواية : « وليزدكم زيارتها خيرًا »[٢] .

وفي رواية : « فإنه يرق القلب ، وتدمع العين ، وتذكر الآخرة ،ولا تقولوا هجرًا »[٣] .

إن زيارة القبور واجبة ولو مرة واحدة في العمر ، وورود الأمر به ،واختلف في النساء ؛ فقيل : دخلن في عموم الإذن. وهو قول الأكثر ، ومحله ما إذا أمنت الفتنة[٤] .

وهذا اللعن[٥] إنما هو للمكثرات من الزيارة ، لما تقتضيه الصفة من المبالغة ، ولعل السبب ما يفضي إليه ذلك ؛ من تضييع حق الزوج ، والتبرج ، وما ينشأ منهما من الصياح ونحو ذلك.

فقد يقال : إذا أمن جميع ذلك فلا مانع من الإذن ؛ لأن تذكر الموت يحتاج إليه الرجال والنساء[٦] .

عن عبد اللَّه بن أبي مليكة أن عائشة رضي اللَّه عنها أقبلت ذات يوم من المقابر ، فقلت لها : يا أم المؤمنين ، من أين أقبلت؟ قالت : من قبر أخي عبد الرحمن بن أبي بكر ، فقلت لها : أليس كان رسول اللَّه نهى عن زيارة القبور؟ قالت : نعم ، كان نهى ثم أمر بزيارتها.

= (٤/ ١٥٩) (١٠٦٠) وقال: حسن صحيح، النسائي (٤/ ٩٠)، ابن ماجه (١/ ٥٠١) (١٥٧٢)، البغوي في «شرح السنة» (٥/ ٤٦٣) (١٥٥٤).

(١) أخرجه الحاكم (١/ ٣٧٥) ، وصححه ، ووافقه الذهبي.

(٢) أخرجه الحاكم (١/ ٣٧٦)، ابن ماجه (١/ ٥٠٠) (١٥٦٩).

(٣) قال الحافظ في «الفتح» (٣/ ١٧٧).

(٤) أي الوارد في حديث أبي هريرة رضي الله عنه، أن رسول الله ﷺ لعن زوارات القبور، أخرجه الترمذي (٤/ ١٦٠)، وقال: حسن صحيح . وقد رأى بعض أهل العلم أن هذا كان قبل أن يرخص النبي ﷺ في زيارة القبور، فلما رخص دخل في رخصته الرجال والنساء. المصدر السابق.

(٥) ذكره الحافظ في «الفتح» (٣/ ١٧٨) نقلا عن القرطبي.

(٦) أخرجه الحاكم (١/ ٣٧٦) وسكت عنه، وقال الذهبي: صحيح.

وكان النبى يزور القبور ويدعو لأهلها ، فعن عائشة رضى اللَّه عنها قالت : كان رسول اللَّه كلما كانت ليلتها من رسول اللَّه يخرج من آخر الليل إلى البقيع ، فيقول : « السلام عليكم دار قوم مؤمنين ، وآتاكم ما توعدن ، غدًا مؤجلون ، وإنا إن شاء اللَّه بكم لاحقون ، اللَّهم اغفر لأهل بقيع الغرقد »(١) .

وعن بريدة رضى اللَّه عنه قال : كان رسول اللَّه يعلمهم إذا خرجوا إلى المقابر يقولون : « السلام عليكم أهل الديار من المؤمنين والمسلمين ، وإنا إن شاء اللَّه للاحقون ، أسأل اللَّه لنا ولكم العافية »(٢) .

وكان ﷺ يقول : « السلام على أهل الديار من المؤمنين والمسلمين ، ويرحم اللَّه المستقدمين منا والمستأخرين ، وإنا إن شاء اللَّه بكم للاحقون »(٣) .

(٧) الحفاظ على حرمة قبره :

عن أبى مرثد العنوى قال : قال رسول اللَّه ﷺ : « لاتجلسوا على القبور ، ولا تصلوا إليها »(٤) .

وعن أبى هريرة رضى اللَّه عنه قال : قال رسول اللَّه ﷺ : « لأن يجلس أحدكم على جمرة فتحرق ثيابه فتخلص إلى جلده خير له من أن يجلس على قبر »(٥) .

وعن عائشة رضى اللَّه عنها أن رسول اللَّه ﷺ قال : « كسر عظم الميت ككسره حيًا »(٦) .

---

(١) أخرجه مسلم فى الجنائز - باب: ما يقال عند دخل القبور، والدعاء لأهلها (٢/ ٦٦٩) (١٠٢) (٩٧٤)، البغوى فى «شرح السنة» (٥/ ٤٧١) (١٥٥٦) .

(٢) أخرجه مسلم فى الجنائز (٢/ ٦٧١) (١٠٤) (٩٧٥) ، ابن ماجه (١/ ٤٩٤) (١٥٤٧) .

(٣) أخرجه مسلم من رواية عائشة رضى الله عنها (٢/ ٦٧١) (١٠٣) (٩٧٤).

(٤) أخرجه مسلم (٢/ ٦٦٨) (٩٧) (٩٧٢)، أبو داود (٣/ ٥٥٤) (٣٢٢٩)، الترمذى (٤/ ١٥٣) (١٠٥٥) فى الجنائز - باب: كراهة المشى على القبور.

(٥) أخرجه مسلم فى الجنائز - باب: النهى عن الجلوس على القبر والصلاة عليه (٢/ ٦٦٧) (٩٦)(٩٧)، أبو داود (٣/ ٥٥٤) (٣٢٢٨)، ابن ماجه (١/ ٤٩٩) (١٥٦٦).

(٦) أخرجه أبو داود (٣/ ٥٤٤) (٣٢٠٧)، ابن ماجه (١/ ٥١٦) (١٦١٦)، أحمد (٦/ ٤٨)، البغوى فى «شرح السنة» (٥/ ٣٩٣).

وعن جابر رضى اللَّه عنه قال : سمعت رسول اللَّه ﷺ نهى أن يُقعد على القبر ، وأن يُقصص ويبنى عليه(١).

وفى رواية : نهى رسول اللَّه ﷺ أن تجصص القبور ، وأن يكتب عليها ، وأن يبنى عليها ، وأن توطأ(٢).

ونهيه عن القعود على القبر يُتأول على وجهين :

أحدهما : أن يكون ذلك فى القعود للحديث.

والوجه الآخر : كراهة أن يطأ القبر بشىء من بدنه.

وقد روى أن النبى ﷺ رأى رجلًا قد اتكأ على قبر ، فقال : « لا تؤذ صاحب القبر ». والتقصيص : التجصيص. والقصة : شىء شبيه بالجص(٣).

ولقد ندبت السنة إلى إخراج الميت من القبر واللحد إن كانت مصلة الميت وخيره يقتضى ذلك.

عن جابر بن عبد اللَّه رضى اللَّه عنهما قال : أتى رسول اللَّه ﷺ عبد اللَّه بن أبى بعدما أدخل حفرته فأمر به فأخرج ، فوضعه على ركبتيه ، ونفث عليه من ريقه وألبسه قميصه ، وكان على رسول اللَّه ﷺ قميصان ، فقال له ابنه عبد اللَّه : يا رسول اللَّه ؛ ألبس أبى قميصك الذى يلى جلدك(٤).

قال سفيان : فيرون أن النبى ﷺ ألبس عبد اللَّه قميصه مكافأة لما صنع.

وعن جابر رضى اللَّه عنه قال : « لما حضر أحد دعانى أبى من الليل ، فقال : ما أرانى إلا مقتولاً فى أول من يقتل من أصحاب النبى ﷺ ، وإنى لا أترك بعدى أعز

---

(١) أخرجه مسلم (٢/ ٦٦٧) (٩٤) (٩٧٠) فى الجنائز - باب : النهى عن تجصيص القبر والبناء عليه، أبو داود (٣/ ٥٥٢) (٣٢٢٥)، ابن ماجه (١/ ٤٩٨) (١٥٦٢).

(٢) أخرجه الترمذى (٤/ ١٥٥) (١٠٥٨) وقال : حديث حسن صحيح.

(٣) قاله الخطابى فى «معالم السنن» (٣/ ٥٥٢).

(٤) أخرجه البخارى فى الجنائز (٣/ ٢٥٤) (١٣٥٠)، مسلم فى المنافقين (٤/ ٢١٤٠) (٢) (٢٧٧٣)، النسائى (٤/ ٣٨)، أحمد (٣/ ٣٨١).

على منك ، غير نفس رسول اللَّه ﷺ ، وإنى علىّ دينًا ، فاقض ، واستوص بأخواتك خيرًا . فاصبحنا فكان أول قتيل ، ودفن مع آخر فى قبره ، ثم لم تطلب نفسى أن أتركه مع الآخر ، فاستخرته بعد ستة أشهر فإذا هو كيوم وضعته هنية غير أذنه[(١)] .

وعنه رضى اللَّه عنه قال : دفن مع أبى رجل فلم تطب نفسى حتى أخرجته ، فجعلته فى قبر على حدة[(٢)] .

وفى رواية : « فما أنكرت منه إلا شعيرات كن فى لحيته مما يلى الأرض »[(٣)] .

وفى قصة والد جابر من الفوائد : الإرشاد إلى بر الأولاد بالآباء خصوصًا بعد الوفاة ، والاستعانة على ذلك بإخبارهم مكانتهم من القلب ، وفيه قوة إيمان عبد اللَّه المذكور لاستثنائه النبىﷺ ممن جعل ولده أعز عليه منهم ، وفيه كرامته بوقوع الأمر على ما ظن ، وكرامته بكون الأرض لم تبل جسده مع لبثه فيها ، والظاهر أن ذلك لمكان الشهادة ، وفيه فضيلة لجابر لعمله بوصية أبيه بعد موته فى قضاء دينه[(٤)] .

* * *

(١) أخرجه البخارى فى الجنائز (٣/ ٢٥٤) (١٣٥١).

(٢) أخرجه البخارى (٣/ ٢٥٥) (١٣٥٢).

(٣) أخرجه أبو داود (٣/ ٥٩٦) (٣٢٣٢)، النسائى بنحوه فى الجنائز - باب: إخراج الميت من القبر بعد أن يدفن فيه (٤/ ٨٤).

(٤) قاله الحافظ فى «الفتح» (٣/ ٢٥٨).

الفهرس